

البُشريات

1437 هـ - 2015 م

# نقاش هادئ حول مؤتمر الرياض



بقلم

أنس خطاب

# نقاش هادئ
# حول
# مؤتمر الرياض

**أنس خطاب**

بسم الله الرحمن الرحيم

**قال الله تعالى :** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ **الأنفال : ٢٧ - ٢٨.**

**( إن أولى الخطوات في طريقنا هي أن نستعلي على هذا المجتمع الجاهلي وقيمه وتصوراته، وألا نعدِّل نحن في قيمنا وتصوراتنا قليلاً أو كثيراً لنلتقي معه في منتصف الطريق.**
**كلا ! إننا وإياه على مفرق الطريق، وحين نسايره خطوة واحدة فإننا نفقد المنهج كله ونفقد الطريق ! )**

**الأستاذ / سيد قطب**
**رحمه الله**

**( أكثر المنتكسين عن الحق طال بهم الطريق واستبطأوا النتيجة، فشكّوا بسلامة الطريق وبحثوا عن النتائج في غيره، طول الطريق فتنة إلا عند أصحاب اليقين ).**

**الشيخ / عبد العزيز الطريفي**
**حفظه الله**

# مقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين :

{ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آَمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآَمَنَّا }

هذه رسالة كتبتها على عجالة، لبيان حقيقة " مؤتمر الرياض " والموقف الشرعي اللازم تجاهه، محاولاً فيها التزام النقاش العلمي الهادئ، بعيداً عن التشنجات والمهاترات وتراشق الاتهامات وما شابه ذلك من طرق النقاش الصبيانية التي نرى بعضاً منها على وسائل التواصل الاجتماعي، وقد قدمت فيها ببعض المقدمات التي أراها مهمة في مثل هذا الموقف، لمعالجة بعض التصورات الخاطئة في فهم منهج النبي صلى الله عليه وسلم، والتي كثيراً ما ينتج عنها خطأ منهجي في التعامل مع أهل الكفر عامة، كما عرّجت على بعض الشبهات التي يكثر الاستدلال بها في مثل هذه المواقف، كدعوى الاستضعاف والإكراه والاضطرار، وحلف الفضول وصلح الحديبية.

ثم ذكرت نص البيان الختامي لـ " مؤتمر الرياض " كاملاً، وعلقت عليه مبيناً مخالفته لدين الله وعقيدة التوحيد التي بعث بها الرسل والأنبياء، وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تطرقت إلى حكم البيان والموقعين عليه.

ومما ينبغي فهمه في هذا المقام، أن هذا المؤتمر لم يأت في ضوء المساعدات الإنسانية من الغرب، فقد انقرضت هذه المشاعر النبيلة واندثرت عندهم، ولم يعد لها مأوى في قلوبهم الشيطانية، وإنما جاء هذا المؤتمر كغيره وسابقه من المؤتمرات التي يُرجى منها صرفنا عن ديننا وعقيدتنا، ولا فرق بين هذا المؤتمر وبين غيره من الجلسات التي عقدتها قريش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، يريدون بها صرفه عن دينه ودعوته، فأبى ورفضها جميعاً، ولم يجبهم في أي منها.

وليُعلَم أني ما كتبت هذه الرسالة نصرة لجماعة أو تنظيم أو فكر معين، وخالق القلوب يعلم ما فيها، وإنما كتبتها حباً لديني وحرصاً عليه، ونصرة لما أعتقده من الحق، فإن وافق هذا الحق جماعة أو تنظيماً، فهو من فضل الله نحمده عليه، ثم نصحاً لإخواني المسلمين عامة ومجاهدي الشام خاصة.

والحمد لله رب العالمين ...

**أنس خطاب**

بلاد الشام

الاثنين ٩ / ربيع الأول / ١٤٣٧ هـ

٢١ / ١٢ / ٢٠١٥ م

# وقفات منهجية

### ❖ صراع الحق والباطل :

إن من سنن الله الكونية أن الباطل لا يكف عن محاربة الحق، فهذا قابيل لم تتسع له نصف الأرض ليمارس فيها الباطل، ويدع هابيل يتمسك بالحق في النصف الآخر، فكان الحل عنده قتل الحق متمثلاً في هابيل ! [ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ][1] .

ومشركو قريش بدأوا بحرب النبي صلى الله عليه وسلم في مكة دون أن يبدأهم به، قال الله تعالى : [ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ][2] .

وهكذا دائماً حال الباطل مع الحق وأهله.

قال تعالى : [ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ][3] ، وقال سبحانه وتعالى : [ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ][1] .

---

[1] المائدة : ٢٧.

[2] الأنفال : ٣٠.

[3] الإسراء : ٧٧.

وحين يفشل أهل الباطل في القضاء على الحق، فإنهم يلجأون للتفاوض مع أهله، في محاولة منهم لصرفهم عن هذا الحق الذي يتمسكون به.

حاولوا فعل ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ففشلوا وعجزوا.

قال تعالى : [ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً . وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً . إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ][٢].

ومشركو اليوم حين فشلوا في القضاء على الجهاد في بلاد الشام، ذهبوا يكررون الأمر نفسه، فقاموا يدعون المجاهدين للتفاوض معهم، سعياً منهم لإجبار أهل الحق على التنازل عنه، فوقع البعض في هذا الشراك الخبيث، ظناً منه أنه يسير في طريق النصر والخلاص !.

### ❖ منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع أذى المشركين وموقفه من دعوات التفاوض :

المتأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفي الأدلة التي اعتاد المنبطحون من أبناء هذه الأمة التعلق بها، يجد أنها على خلاف ما أرادوا واستدلوا.

---

[١] الفتح : ٢٣.

[٢] الإسراء ٧٣ : ٧٥.

لقد اشتدت وطأة المشركين في مكة على من أسلم وتابع النبي صلى الله عليه وسلم، وعذبوهم في ذلك أشد العذاب، والقصص في ذلك مشهورة معروفة، كتعذيبهم بلال بن أبي رباح وعثمان بن عفان وخباب بن الأرت ومصعب بن عمير وطلحة بن عبيد الله وعمار بن ياسر وموت أبيه في العذاب وقتل أمه سمية بن الخياط، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ومن شدة ما تعرضوا له من البلاء اضطر بعض الصحابة لإخفاء إسلامه، ورُخِصَ لعمار بن ياسر رضي الله عنه في إظهار الكفر والنطق به حال تعرضه للإكراه الملجئ، واضطر النبي صلى الله عليه وسلم للاجتماع بالصحابة سراً في دار الأرقم، وعرض عليهم الهجرة إلى الحبشة، واشتد سعي أبي بكر الصديق رضي الله عنه في العمل على عتق المعذبين في الله من العبيد والإماء.

كان البلاء في مكة شديداً، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شتات من الأرض، فهم بين معذب مضطهد في مكة أو مستضعف خائف من العذاب يكتم إيمانه أو مهجرين إلى الحبشة، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد ناله كذلك قسطاً من الأذى والمكروه، وحوصر في شعب أبي طالب، وأوذي في رحلته إلى الطائف، ولم يكن بمقدوره أن يدفع الأذى عن نفسه، فضلاً عن أن يتمكن من حماية أتباعه وأصحابه، كذلك فإن الله عز وجل لم يكن قد أذن للمسلمين بالقتال بعد، فكان المسلمون عاجزين عن

الدفاع عن أنفسهم بصورة جماعية، وليس لهم إلا ما ييسره الله لبعض آحادهم من منعة أو إجارة مؤقتة من هنا أو هناك.

وكتب السيرة مليئة بذكر النماذج والأمثلة على ما ذكرنا، وليس هذا مقام سردها والتفصيل فيها، ولكن يهمنا هنا الفائدة.

فرغم كل ما تعرض له المسلمون في مكة من محن وشدائد وابتلاءات، لو تعرض الكثيرون اليوم لبعض منها لخارت قواهم وانهارت عزائمهم، إلا أنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه طلب النصر من الله عز وجل في مكة !.

وإنما طلب النصر في المدينة، وذلك حين التقى الحق بالباطل وتواجها وتصارعا في غزوة بدر، حينها مد النبي صلى الله عليه وسلم يديه متوجهاً إلى الله عز وجل بالدعاء كما في صحيح مسلم : [ اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتِ ما وعدتني ][1].

بل لما طُلِبَ من النبي صلى الله عليه وسلم في مكة الدعاء وطلب النصر من الله عز وجل، غضب واشتد غضبه !

فقد روى البخاري في صحيحه عن خباب بن الأرت رضي الله عنه أنه قال : ( أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بُرْدَةً في ظل الكعبة، وقد لقينا

---

[1] صحيح مسلم ( ٥٨ / ١٧٦٣ ).

من المشركين شدة، فقلت : يا رسول الله ألا تدعوا لنا ؟، فقعد وهو مُحْمَرٌ وجهه فقال : [ لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك، وليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله ] )[١].

وقد كنت كلما قرأت هذا الحديث أتعجب من غضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف، وأتساءل بيني وبين نفسي : ما سر غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام هذا المطلب الطبيعي من خباب بن الأرت رضي الله عنه ؟!، حتى مَنَّ الله علي بفهم الحكمة من ذلك.

وتعليل عدم طلب النبي صلى الله عليه وسلم النصر في مكة، وغضبه حين طُلب منه ذلك - والعلم عند الله - أن النبي صلى الله يعلم بما أُوحِيَ إليه من ربه أن الأمة لابد لها من مرحلة بلاء ومحن تصبر عليها وتتحمل الشدائد فيها، حتى تتربى النفوس وتطهر القلوب وتتمحص الصفوف ويُصنع الرجال، فكما يُقال : الشدائد تصنع الرجال.

قال تعالى : [ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ][٢].

---

[١] صحيح البخاري ( ٣٦١٢ ).

[٢] آل عمران : ١٤١.

لأن من آمن بمبدأ أو عقيدة ثم أُوْذِيَ وعُذِبَ في سبيل التخلي عنها، فصمد وثبت على عقيدته، لاشك أن مثل هذا قد آمن عن قناعة وصدق ويقين، ومثل هذه النفوس المؤمنة يزيدها البلاء قوة وصلابة وتمسكاً بما آمنت به، فيُعتمد عليها في إقامة الدين.

وابتلاء المؤمن وصبره على البلاء يُطهر نفسه من حظوظ الدنيا والنفس والشيطان، ويُعينه على ما افتُرض عليه من العبادات، فكلها عنده أهون من هذا البلاء والأذى والعذاب.

وكما أن البلاء يُظهر إيمان المؤمن وصدقه، فإنه كذلك يفضح ويكشف كذب المنافق.

قال تعالى : [ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ] [١] .

وهؤلاء الثابتين الصابرين على البلاء هم الرجال المؤهلون لحمل هذا الدين وإقامته في الأرض والسعي به بين الناس.

ولذلك غضب النبي صلى الله عليه وسلم من استعجال خباب رضي الله عنه لهذه المرحلة، لأن الاستعجال فيها لن يؤدي إلى الثمرة المرجوة، ولن يحقق النتائج التي رأيناها بعد ذلك في المدينة، ثم في زمن الخلافة وعهد الصحابة.

---

[١] العنكبوت : ٢ – ٣.

ولما تمت مرحلة البلاء في مكة، وحصل المرجو منها، وانتقلت الدعوة إلى المدينة وحدثت المواجهة بين الحق والباطل في بدر، حينها طلب النبي صلى الله عليه وسلم النصر من الله عز وجل، لأنه حان وقته.

وجميع الأحداث في السيرة جارية على هذا المعني، والذي يفقه هذا المعنى في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم سيدرك المنهج الصحيح في التعامل مع بلاء الأمة، وأن السعي لرفع البلاء لا يكون بقبول التفاوض مع أهل الكفر والتنازل عن الدين، فإن هذا على خلاف المقصد الشرعي من هذا البلاء القدري، إذ أن مقصد الشارع من ابتلاء العباد هو اختبار ثباتهم على الدين وليس التنازل عنه، قال تعالى : [ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ][1].

والطريق الشرعي لرفع البلاء يكون بالسبل المشروعة، كالصبر والدعاء والثبات على الدعوة والهجرة والجهاد.

وعلى هذا الأساس كان منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التفاوض مع الكفار، فرغم كل ما ذكرناه من المحن والابتلاءات التي لحقت بالصحابة في مكة، ورغم كل ما عاناه المسلمون من ضعف واضطهاد وأذى وعذاب، فإن

---

[1] الملك : ٢.

النبي صلى الله عليه وسلم قد حسم أمر التفاوض مع أعداء الدين في مكة حسماً قاطعاً، وأغلق بابه أمام المشركين إغلاقاً نهائياً لا رجعة فيه.

روى الطبراني في المعجم الأوسط وغيره وحسنه الألباني عن عُقَيل بن أبي طالب قال : ( جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : أرأيت أحمد ؟ يؤذينا في نادينا، وفي مسجدنا، فانهه عن أذانا، فقال : يا عقيل ائتني بمحمد، فذهبت فأتيت به، فقال : يا ابن أخي إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مسجدهم، فانته عن ذلك، قال : فلحظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره - وفي رواية : فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره - إلى السماء، فقال : [ ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك منكم على أن تُشعلوا لي منها شعلة - يعني الشمس - ]، قال : فقال أبو طالب : مَا كَذَبَ ابن أخي، فارجعوا )[1].

والأمثلة على ذلك كثيرة، وهي مبسوطة في كتب السنة والسيرة النبوية.

ومن اللفتات اللطيفة في هذا المقام أن النبي صلى الله عليه وسلم رفض التفاوض في مكة رغم الضعف والبلاء، وقَبِلَهُ في المدينة رغم العزة والتمكين!، وذلك كما في الحديبية، وهو مشهور، وكما في غزوة الأحزاب حين رغب في

---

[1] السلسلة الصحيحة ( ١ / ١٩٤ - ١٩٥ )، حديث رقم ( ٩٢ )، وقال الشيخ الألباني : ( وهذا إسناد حسن، رجاله كلهم رجال مسلم ).

إعطاء غطفان ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا عن حصار المدينة وينسحبوا من المعركة.

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما عرض على قبيلة غطفان أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا، طلبوا أن يعطيهم النصف، **فأبى**[١] !

كذلك رُوي عن سعد بن معاذ رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قِرىً أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا ؟، ما لنا بهذا من حاجة، **والله لا نعطيهم إلا السيف**، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : [ أنت وذاك ]، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال : ليجهدوا علينا[٢].

قلت : لم نعط لكفار زماننا ما أخذوه في " مؤتمر الرياض "، ونحن في أشد لحظات الضعف في أول الجهاد، حين كنا لا نملك المال أو العتاد، والرجال

---

[١] لا نذكر الحديث استشهاداً به كأصل في المسألة، فهو مروي عن الواقدي، والواقدي مدلس متروك مردود الحديث كما قال المحققون من أهل الحديث، وإنما نذكره على سبيل الاستئناس والمتابعة، بعد أن أثبتنا أصل منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التفاوض.

[٢] البداية والنهاية، ٤ / ٢٩٧ - ٢٩٨، وانظر زاد المعاد، ٣ / ٢٤٤.

قليل، والمناطق كلها تحت سيطرة النظام، أفنعطيهم إياها بعد أن أكرمنا الله بالفتح والنصر وتحرير الأراضي وإقامة حكمه في الأرض، وبعد أن أكرمنا بالمال والعتاد والرجال، وأصبح النظام النصيري قاب قوسين أو أدنى من الاستسلام، وفشل العالم أجمع في هزيمة المجاهدين !!.

إن المرء ليعجب من أناس يتعذرون بالاستضعاف وقد أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من النصر !.

إن حقيقة الواقع المريرة أن الأمر لا علاقه له بالاستضعاف، وإنما هو ضعف وفتور الهمة، فإن العقل قد يقبل التعذر بالاستضعاف أول الجهاد، حيث ضعف الحيلة وقلة ذات اليد، أما الآن !.

ولعل الحكمة من رفض النبي صلى الله عليه وسلم التفاوض وهو في الضعف والبلاء، وقبوله ذلك وهو في القوة والعزة والتمكين، أن من يتفاوض حال الضعف فإنه يكون أقرب إلى التنازل والرضى بالشروط المملاة عليه، فيضيع بذلك الدين، كما أنه يُشْمِت به أعداؤه، وهو ما نراه اليوم في تفاوضات المنبطحين المنهرمين نفسياً، حيث يسلمون الدين كاملاً لأعدائه من الكفار والملاحدة.

أما من يتفاوض حال القوة والتمكين، فإنه هو من يُملي الشروط، وله أن يُلغي التفاوض إن أراد، ولا يستطيع أن يَشْمَتَ به أعداؤه، بل إنهم ليفرحون أشد الفرح أنه قَبِلَ التفاوض معهم !.

# شبهات وليست أدلة

اعتدنا دائماً ممن ينزلق في هذا المنحدر الاستدلال بفقه الاستضعاف والمصلحة والضرورة، واتباع المتشابهات في القرآن والسنة، وفي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فيضربون الأدلة بعضها ببعض.

وهم في هذا يظنون أنهم يتبعون الأدلة المحكمة القطعية، وحقيقة حالهم أنهم متخبطون في المتشابهات !.

ومن تأمل حال أدعياء السلفية في مصر، وانقلاب موقفهم من الديمقراطية والانتخابات، علم أن حال هؤلاء كأولئك.

فقبل ثورة ٢٠١١ م في مصر كان السلفيون يحرمون الانتخابات تحريماً قاطعاً، ويقولون بكفر الديمقراطية وتحريم وسائلها وآلياتها، وكانوا يردون على شبهات جماعة " الإخوان المسلمون " بأدلة شرعية، وذلك كما في سلسلة " السيادة للقرآن لا للبرلمان " لمحمد إسماعيل المقدم، وكما في درس " لماذا نقاطع الانتخابات ؟ " لعبد المنعم الشحات، وهما من رؤوس السلفية " البرلمانية " بمصر، ثم لما بدأت الانتخابات الديمقراطية بعد الثورة، إذا بهم يفاجئون العالم كله بالمشاركة في الانتخابات الديمقراطية " الكفرية "، ويستدلون بنفس شبهات الإخوان التي كانوا قد أشبعوها رداً من قبل !!.

واليوم نجد البعض ممن ينتسب للجهاد، وكأنه يريد تكرار نفس الدور !.

وهذا تعريج سريع على بعض الشبهات[١] التي اعتادت النفوس المنهزمة والعقول المنبطحة الاستدلال بها في مثل هذه المواقف، وإلا فقد ناقشها مراراً بعض العلماء المعاصرين، فلتراجع في مظانها.

## ١- حلف الفضول :

يكثر بعض من انتهجوا سبيل الانبطاح والاستسلام للكفر، واتباع المتشابهات لتبرير انهزامهم ولهاثهم خلف السراب الموهوم، التعلق بشبهة حلف الفضول في مثل هذه المواطن، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه : [ فما أُحِبُ أن لي حُمْرُ النَّعَمِ وأني أنكُثُه ][٢].

ولا بأس من بعض البيان حول هذه الشبهة لتبيين اختلاف المناط.

كان حلف الفضول اجتماعاً على مقصد شرعي، وهو نصرة المظلوم، وإن لم يقصده أصحابه باعتباره شرعياً تعبدياً، وإنما قصدوه لأخلاق فطرية وعرفية اجتمعوا عليها، إلا أن هذا ليس محل نزاع، فالعبرة بمقصد العمل، وأما النيات

---

[١] غالب من يقعون في هذه الشبهات إما يكون الإشكال لديهم في تخريج المناط، أو في تحقيقه، هذا على اعتبار تقديم حسن الظن، وإلا فالبعض متبع لهواه.

[٢] مسند أحمد ( ١٦٥٥ )، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

فمحل الحساب عليها في الآخرة، وهي ليست من أحكام الدنيا، والفارق الأصولي بين مقصد العمل ونيته الباعثة عليه واضح لطلبة العلم.

وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم بحلف الفضول بعد النبوة وإخباره بقبوله للمشاركة فيه إن تم ودُعِيَ إليه، يجب أن يُفهم في ضوء قوله صلى الله عليه وسلم في الحديبية : [ والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ] [١]، لأن هذا ما يتوافق مع مقام النبوة والرسالة، ومن حاول فهم حلف الفضول على خلاف هذا المعنى فليعلم أنه إنما يفكر ويفهم بعقل ووحي الشيطان !، فليتب إلى الله عز وجل ويستغفره.

ولولا أن مقصد الحلف موافق لمقصد شرعي لما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم برضاه عنه، فإنه لا يُتصور أن يرضى النبي صلى الله عليه وسلم بالمشاركة في حلف قائم على مخالفة الشرع، ومن وقع في هذا التصور فقد وقع في الطعن في دين نبيه من حيث يدري أو لا يدري !، ولا يخفي ما في هذا من كفر واضح صريح، بل وزندقة متبجحة، يعلم ذلك عوام المسلمين، فضلاً عن أهل العلم فيهم.

فلاشك أن التحالف حين يكون على إقامة الشرك في الأرض وحرب الإسلام والسنة، فإن هذا لا يقره النبي صلى الله عليه وسلم بحال، بل

---

[١] صحيح البخاري ( ٢٧٣١ ).

سيحاربه بكل قوة ويعلن القتال ضده !، فما بُعث ولا جاء بالجهاد إلا لأجل إقامة التوحيد في الأرض وهدم الشرك واقتلاعه من جذوره، والنصوص في ذلك كثيرة.

ومنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ بُعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم ][1] .

## ٢- صلح الحديبية :

حين قَبِلَ النبي صلى الله عليه وسلم التفاوض في الحديبية، لم يقبله بشروط وإملاءات المشركين، وإنما قَبِلَهُ بشروطه هو، بشروط من حاله القوة والعزة والتمكين، وذلك ظاهر في قوله : [ والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة

[1] مسند أحمد ( ٥١١٥ )، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ][1]، فجعل أساس قبول التفاوض أن تكون الشروط موافقة لأصل شرعي، وهو تعظيم حرمات الله[2] .

والمتفاوضون اليوم في " مؤامرة الرياض " انتكهوا حرمات الله ولم يعظموها، فقد اجتمعوا واتفقوا على كل شيء يخص مستقبل سوريا، إلا إقامة دين الله وحكمه وشرعه في الأرض، فلم يذكروه ولو بالتلميح إلا على معنى الذم والعداوة والمحاربة !، وسيأتي بيانه.

فأين هذا من ذاك ؟!.

### ٣- دعوى الاستضعاف :

بعض من يسارع لمثل هذه المفاوضات وغيرها يستدل بفقه الاستضعاف ليبرر قبوله التفاوض والتنازل عن دين الله، رغم أن هذا خلاف المنهج النبوي كما ذكرنا.

فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل التفاوض في حال الاستضعاف بمكة، بل رفض مبدأه والجلوس له من الأساس، بينما قبله في حال العزة والتمكين.

---

[1] سبق تخريجه.

[2] وأما تعلق البعض بما جاء في بنود الصلح، كرد من جاء مسلماً من المشركين، وعدم رد من جاء مشركاً من المسلمين، فسيأتي الكلام عليه عند حديثنا عن طرد المهاجرين، أثناء التعليق على البيان الختامي لمؤتمر الرياض.

فأين هم من هذا النهج النبوي ؟!.

ومع ذلك، فلو تعذروا بالاستضعاف لتبرير التفاوض، فقد تناقضوا مرتين، مرة لأن هذا خلاف هدي النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا وبيّنا، ومرة لأن واقع الجهاد الشامي يكذبهم !.

فالواقع أن الجهاد الشامي لا يمر بمرحلة استضعاف، بل إنه قد اقترب من النصر والعزة بفضل الله عز وجل، وهذا المؤتمر الخبيث ليس سوى محاولة يائسة من الغرب لقطع طريق النصر على المجاهدين بالشام، ومنعهم من قطف ثمار ما بذلوا وقدموا من تضحيات وجهد ودماء، ولإنقاذ بشار ونظامه النصيري من السقوط في أيدي المجاهدين، وقد عقدوا هذا المؤتمر بالتزامن مع الهجمة العسكرية الشرسة على ساحل اللاذقية وريف حلب الجنوبي، والهدف من ذلك تركيع المجاهدين لما يُراد لهم من مؤمرات خبيثة شيطانية[١]، وذلك عبر استنزافهم وإشغالهم في معارك جانبية استهلاكية، حتى ينقضي الأمر المخطط

[١] كنت على وشك الانتهاء من هذه الرسالة حين بدأت سلسلة من غارات الطيران الحربي المكثفة على مدينة " إدلب "، فقلت : بدأت مرحلة الضغوطات على المجاهدين لإجبارهم على القبول والرضوخ للحل السياسي المفروض، وللتحريش وزرع الفتنة بين أهل الشام والمهاجرين !.

له، ويتفاجأ به المجاهدون واقعاً أمامهم لا يملكون تغييره[١]، فنسأل الله أن يفشلهم ويحبط كيدهم.

وهذه عادة الغرب مع أهل الإسلام دائماً، كلما أحس بزيادة قوتهم على الأرض، استدرجهم إلى حلبة الصراعات السياسية لتركيعهم وإخضاعهم فيها، وما تجربة مصر عنا ببعيد !.

والغرب لم يلجأ لهذا الأسلوب السياسي الخبيث إلا بسبب فشله عسكرياً، فمن المعلوم في عالم الحروب أن الجلوس لطاولة المفاوضات السياسية لا يكون إلا بعد أحد أمرين، إما تحقيق النصر العسكري، فيكون الجلوس حينها لقطف ثمار هذا النصر، أو الهزيمة والفشل العسكري، فيكون الجلوس حينها لتقديم التنازلات وتجنب المزيد من الخسائر.

والغرب الآن قد جرب جميع ما يمكنه استخدامه من وسائل عسكرية لهزيمة المجاهدين، إلا أنها فشلت جميعاً، بدءاً من النظام الروسي النصيري مروراً بروافض لبنان وإيران وحزب الله، فالتحالف العربي الصليبي بقيادة أمريكا، ثم

---

[١] لاشك أن من يدرك حقيقة وأبعاد هذا المؤتمر المؤامرة، ثم يرضى به ويشارك فيه، فهو - في أحسن أحواله - خائن لله ولرسوله وللمؤمنين والشهداء والمجاهدين، وقد حذرنا الله سبحانه من مثل هذه الخيانات، قال تعالى : [ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ] الأنفال : ٢٧.

التدخل الشرقي الروسي الصيني .. كل ذلك ولازال المجاهدون ينتصرون، والنظام النصيري يترنح، حتى صار قاب قوسين أو أدنى من الهزيمة والاستسلام.

هنا حاول الغرب أن يتدارك الأمر، فدعا الجميع للجلوس على مائدة المفاوضات السياسية، والسياسة هي لعبة الغرب المفضلة التي لا يضاهيه فيها أحد، وذلك لأنه هو من وضع قواعدها ورسم معالمها وحدد مساراتها مسبقاً، ومن يدخل معه حلبة الصراع السياسي سيجد نفسه مضطراً للسير في مسارات محددة وفق قواعد معينة تم رسمها وتحديدها مسبقاً، ولذلك فكل من دخل هذا الملعب مع الغرب خرج خاسراً، والتاريخ والواقع يشهدان بذلك، وتجربة الجزائر وحماس ومصر وتونس خير دليل.

وانتقال الغرب من الصراع العسكري إلى الصراع السياسي بهذه الصورة السريعة المفاجئة التي لا تتفق وقواعد الحروب، يدل على أننا قد قاربنا على بداية الفصل الأخير لهذه المعركة، ومن يُنهي هذا الفصل بطريقته سيكون هو المنتصر بإذن الله تعالى، والغرب يحاول أن يُنهي هذا الفصل بالطريقة التي يريدها، ليسدل هو الستار معلناً فوزه ونجاح مشروعه.

فالغرب يريد من هذه المفاوضات السياسية قلب المعادلة العسكرية، وتحويل نصر المجاهدين إلى هزيمة، وهزيمته هو إلى نصر، وكعادته أرسل عملاؤه

للمفاوضات بشروطه هو، وكأنه المنتصر !، ووقع الأغرار السذج في الطعم، ثم جاء المبررون لهم يحدثونا عن الاستضعاف !.

كلا والله !، ليس استضعافاً، ولكنه ذل وانتكاس، بل واقع المعركة أن الغرب هو الضعيف المهزوم، وأن المجاهدين هم المنصورون الغالبون إن شاء الله.

وأما إن زعم المشاركون والمؤيدون لهم أنهم موافقون للنهج النبوي في التفاوض عند التمكين، وأنهم الآن في حال التمكين، فقد تناقضوا مرتين أيضاً، مرة لأن واقع المجاهدين بالشام أنهم لم يصلوا إلى مرحلة التمكين الكامل الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، بل لازال الجهاد بالشام في كر وفر، وما أكرمنا الله به من تمكين، فهو تمكين جزئي، وليس أدل على ذلك مما يحدث الآن في ريف حلب الجنوبي وساحل اللاذقية، نسأل الله عز وجل أن يثبت إخواننا هناك ويعجل لهم بالنصر ويهلك عدوهم.

وتناقضوا مرة ثانية حين لم يتفاوضوا بشروط الإسلام كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية، وإنما قبلوا المفاوضات بشروط خصوم هذا الدين.

وعموماً فالعلاج القرآني للاستضعاف ليس بالتنازل للأعداء كما يُصور ذلك المنبطحون المنهزمون نفسياً، ولكن علاج الاستضعاف الجهاد والقتال في سبيل الله، قال تعالى : [ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ

أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً . الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ] [١] .

ولا يُفهم من كلامنا رفضنا لعذر الاستضعاف جملة، وإنما قصدنا عدم تحقق مناط هذا العذر في واقع المسألة المطروحة.

## ٤- دعوى الإكراه :

مما يتعذر به البعض في مثل هذه المواقف - كما اعتدنا - زعمهم الإكراه !، والإكراه لا يجيز فعل الكفر ونشره في الأرض وحمل الناس عليه، وإنما هو يجيز إظهار الكفر للعدو والنطق به أمامه، هذا إذا افترضنا - جدلاً - حصول صورة الإكراه المعتبرة عند الفقهاء والمجيزة للنطق بالكفر وإظهاره، وفرق واسع بين النطق بالكفر وإظهاره أمام العدو تقية لحين النجاة منه، ثم ترك هذا الإظهار والعودة لإظهار الإسلام والعمل به، وبين فعل الكفر والالتزام به عن رضى وقناعة وحمل الناس عليه، والأخير هو ما تم الاتفاق عليه في البيان الختامي لمؤتمر الرياض.

ولو كان الإكراه مجيزاً لفعل الكفر والالتزام به لجاز للصحابة البقاء على الكفر وعدم الدخول في الإسلام، ولجاز لجميع الناس عدم الاستجابة لدعوة

---

[١] النساء : ٧٥ - ٧٦.

أنبيائهم، ولما كان هناك معنى لإرسال الرسل والأنبياء، ولا كان هناك معنى لتكفير من لم يؤمن، ولا كان من العدل تخليده في النار !.

ومن فهم الإكراه على المعنى الثاني فليعلم أن جهله بالشرع مركباً، وأن العامي صاحب الجهل البسيط أفضل حالاً منه.

وعموماً فالإكراه عند أهل العلم على مراتب، ولا يُجيز إظهار الكفر والنطق به إلا الإكراه الملجيء، وهذا له شروط وضوابط منصوص عليها في كتب الفقه، وهو كما حدث لعمار بن ياسر رضي الله عنه، حيث عُذِّبَ بالنار وقُتِلَ أبواه أمامه وهُدِدَ بالقتل، وأما الإكراه غير الملجيء فلا يجيز الكفر، وإن أجاز ما هو دونه من المحظورات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ( تأملت المذاهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكرَه عليه، فليس الإكراه المعتبر في كلمة الكفر، كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها، فإن أحمد قد نص في غير موضع على أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بتعذيب من ضرب أو قيد، ولا يكون الكلام إكراهاً.

وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها أو مسكنها، فلها أن ترجع، بناء على أنها لا تهب له إلا إذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها، فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة إكراهاً في الهبة، ولفظه في موضع آخر لأنه أكرهها، ومثل هذا لا يكون إكراهاً على الكفر، فإن الأسير إذا خشي من

الكفار أن لا يزوجوه وأن يحولوا بينه وبين امرأته، لم يبح له التكلم بكلمة الكفر )[١] .

## ٥- دعوى الاضطرار :

كذلك مما يتعلق بهذا المقام ما قد يتعذر به البعض من دعوى الاضطرار، والاضطرار أو الضرورة هي حالة استثنائية تطرأ على الفرد أو الجماعة تعرضه للهلاك المحقق المتيقن أو التلف الشديد والمشقة العظيمة التي لا يمكن احتمالها، وهي - أي الضرورة - ليست على إطلاقها، كما أنها ليست خاضعة لرغبات الناس وأهوائهم وشهواتهم، وإنما هي حالة " شرعية " لها شروط وضوابط ذكرها الفقهاء في مظانها في كتب القواعد الفقهية بعد استنباطهم لها من النصوص الشرعية، فالأمر دين وتعبد وليس هوى ولعب.

وكل من درس الأصول والقواعد الفقهية يعرف ضوابط هذه القاعدة، وأن هناك قواعد أخرى مقيدة لها، ومن هذه القواعد :

١- الضرورة تُقدر بقدرها، فلا يُزاد عليها ولا يُتوسع في الترخص حال حصولها.

[١] الفتاوى الكبرى، ٥ / ٤٩٠.

٢- الضرورة استثناء من الأصل، فيجب على المسلم السعي للخروج والتخلص منها، وإلا فهو آثم إن رضخ واستسلم لها بغير عذر، وإن كان في أصله مضطراً !.

٣- لا تجوز الفتوى باستباحة الحرام للضرورة إلا عند انعدام جميع البدائل الممكنة، فإذا أمكن اللجوء إلى وجه من أوجه الحلال، فإنه لا يجوز الأخذ بالضرورة حينئذ، إذ الضرورة التي يمكن الاستعاضة عنها والانفكاك منها لا يجوز الأخذ بها بحال.

٤- الضرورة التي لا تنطلق من الشرع ولا تتقيد بقيوده وليس لها دليل شرعي، هي ضرورة ملغاة وغير معتبرة ولا يجوز الأخذ بها.

٥- يراعى في الضرورة المحافظة على مقاصد الشرع بالترتيب الذي وضعت عليه، فتزال ضرورة الدين أولاً، ثم ضرورة النفس، ثم ضرورة العقل، ثم ضرورة النسل، وأخيراً ضرورة المال.

٦- ألا يترتب على إزالة الضرورة إلحاق ضرورة مثلها أو أكبر منها بالغير.

٧- أن تكون الضرورة محققة متيقنة وغير متوهمة، وإلا فالضرورة المتوهمة ليست ضرورة في الحقيقة، وإنما هي أقرب إلى اتباع الهوى.

هذه بعض القواعد الشرعية المقيدة لقاعدة الاضطرار، ولاشك أن حالة الاضطرار بصورتها المعتبرة شرعاً والمقيدة بتلك الضوابط التي ذكرناها، ليست

هي الحالة التي نعيشها الآن بالشام، وعليه فليس هناك مجال للتعذر بالاضطرار.

وقد ذكر القرآن الكريم أمثلة لبعض الضرورات المتوهمة، إلا أنه أنكرها وألغاها ولم يعتبرها، ومن ذلك قول الله تعالى :

[ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً . إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ][1].

وقوله تعالى : [ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ][2].

وقوله تعالى : [ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ][3].

ورغم أن هذه الأعذار تتضمن جزءاً حقيقياً من المشقة لا يمكن إنكاره، حتى أن الله عز وجل لم ينكر هذه المشقة، إلا أنه لم يقبل تلك الأعذار من

---

[1] النساء : ٩٧ - ٩٨.

[2] التوبة : ٤٩.

[3] التوبة : ٨١.

أصحابها، بل أنكرها وألغاها وأبطلها ولم يعتبرها ضرورة، بل وعاقب أصحابها كذلك وعذبهم جزاء ما ارتكبوا من خطايا وآثام اتباعاً لأهوائهم !.

ولاشك أن محاولة إزالة الضرر والأذى والمشقة الحاصلة للمسلمين في الشام كالجوع والعطش والقتل والأسر والتشريد والتهجير، بفعل الكفر وترك الجهاد، كما فعل المشاركون في " مؤامرة الرياض "، ليس مما يوافق الشروط المعتبرة للضرورة.

## الاستفادة من تجارب السابقين

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[١]

تكرر الأمر في القرآن الكريم بالنظر في أخبار الأمم السابقة وأحوالها مع أنبيائها، والسعي في الأرض للنظر في أحوال الأمم المكذبة، وكيف كانت عاقبتهم، وذلك للعظة والعبرة، قال تعالى : [ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ].

ولهذا المقصد الحكيم احتوى القرآن على عدد من قصص السابقين.

وإذا كان الله عز وجل قد أمرنا بالنظر والتفكر في أحوال الأمم السابقة لتحصل لنا العظة والاعتبار، فلاشك أن النظر والتأمل في حال الأمم الحاضرة أشد وآكد.

وقد أمرنا الله في غير موضع بالنظر في عاقبة من قبلنا، وإن اختلفت نهايات كل موضع للدلالة على معنى مختلف.

وذلك كما في قول الله تعالى : [ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ][١].

---

[١] يوسف : ١١١.

وقوله تعالى : [ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ][٢].

وقوله تعالى : [ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ][٣].

وغير ذلك من المواضع في كتاب الله تعالى.

وفي كل آية يكون المطلع : [ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ]، ثم تختلف النهايات.

ففي الآية الأولى : [ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآَثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ]، وفي الثانية : [ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ]، وفي الثالثة : [ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ].

ولهذه النهايات المختلفة حكم ومقاصد عظيمة، يتبين لنا بعضاً منها بشيء من التأمل والتدبر في كتاب الله عز وجل.

فإننا حين ننظر في حال بعض من شاركوا في هذه المؤامرة المجرمة ممن ينتسبون إلى الجهاد، نجدهم يتعذرون بالمكر السياسي والدهاء ومخادعة الغرب.

---

[١] غافر : ٨٢.

[٢] يوسف : ١٠٩.

[٣] محمد : ١٠.

وحقيقة هؤلاء أنهم لم يفقهوا قول الله عز وجل : [ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ].

إذ لو أنهم فقهوه لتفكروا من حال من سبقهم ممن سلك نفس مسلكهم وتعذر بنفس حججهم، ثم ينظر في عاقبتهم كيف كانت !.

فها هي جماعة " الإخوان المسلمون " في مصر قد سبقت الكل في هذا المضمار، وتعذرت بنفس هذه الحجج الواهية، واستمرت السنوات الطوال على هذا النهج، حتى حققت نجاحاً لم يحققه أحد قبلها ولا بعدها، فوصلت إلى البرلمان والوزارات ورئاسة الجمهورية وغير ذلك من مناصب سيادية، وتابعهم في ذلك بعض السلفيون، فسلكوا نفس مسلكهم، وتعذروا بنفس حججهم، فماذا كانت عاقبتهم ؟!.

وهنا وقفة : فالإخوان كانوا أكثر عدداً من كل من شاركوا في هذه المؤامرة ممن ينتسبون إلى الجهاد، كما كانوا أشد قوة منهم في الجانب الدعوي والإعلامي والإداري وفي رصيد التجربة السياسية وغير ذلك، وتأثيرهم على الأرض أكبر من غيرهم، فنشاطهم وتأثيرهم ظاهر في جميع المؤسسات، كالجامعات والمدارس والمستشفيات والمصانع والمساجد ومراكز الأبحاث والمؤسسات الخدمية والتجارية وغيرها، فحالهم كما قال الله : [ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ ] !.

ثم ماذا فعل لهم كل ذلك ؟!، [ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ] !!
فكانت العاقبة أنهم خسروا كل ما بنوه، فتشرذمت جماعة " الإخوان " وشُرِدَ أفرادها وسجنوا وقتلوا حتى كادت تنهار جماعتهم، فتحقق فيهم قول الله تعالى : [ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ]، فدُمّرت جماعتهم وأعمالهم، وسيتحقق ذلك في أعداء هذا الدين أيضاً كما وعد سبحانه : [ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ].

وأما السلفيون فباعوا دينهم ووالوا السيسي وتحالفوا معه، وساندوه في الانقلاب حتى أنهم كانوا وقوداً دعائياً لحملته الانتخابية !، فآثروا الدنيا مقابل خسران الآخرة، فلم يفقهوا قول الله تعالى : [ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ] .. [ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ] !!.

فليتفكر هؤلاء المشاركون في " مؤتمر الرياض " في حال أولئك الذين سبق ذكرهم، وينظروا [ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ].

كيف كانت عاقبتهم ؟! [ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ] .. [ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ] !!.

فهل يعقلون أنه [ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ].

أم أنهم لا يعقلون .. [ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ] !.

إن المرء ليعجب لأناس يقرأون هذه الآيات عشرات المرات في كتاب الله عز وجل، ثم لا يتفكرون في حال غيرهم من الأمم أو الجماعات الحاضرة ممن سلكت نفس مسلكهم، وكيف كانت نهايتهم وعاقبتهم !.

وقد يعترض البعض على استدلالنا بهذه الآيات باعتبار أنها نزلت في الكفار والمشركين ابتداءً، فلا يصح حملها على المؤمنين، وهذا القول ليس صحيحاً على إطلاقه، لأن هذه الآيات وإن كان الأصل أنها نزلت في الكفار والمشركين، فإن دخولهم في معناها هو دخول كلي، ولكن قد يدخل فيها المؤمن دخولاً جزئياً، بقدر ما يأتيه من معناها، وكذلك بقدر تخليه عن بعض شعب الإيمان، ووقوعه في بعض شعب الكفر، أو بلفظ آخر : بقدر ابتعاده عن سبيل المؤمنين، واقترابه من سبيل الكافرين.

وفي الجملة، فكما أن التفاوض على العقيدة وثوابت هذا الدين لم يكن من نهج النبي صلى الله عليه وسلم، فكذلك لم يكن من نهجه ولا نهج أصحابه رضي الله عنهم العمل بالمراوغات السياسية والمداراة والالتواء في الالتزام بالحق والصدع به من أجل بعض المصالح الزائفة والموهومة، كما هو حال بعض المنتسبين للدعوة أو الجهاد في زماننا هذا.

[ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ] [1].

---

[1] الحجر : ٩٤.

[ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ . وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ] [١] .

وقد روي عن الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة حين سألهم النجاشي عن دينهم الجديد الذي فارقوا به دين قومهم ولم يدخلوا في دينه ولا دين أحد من الأمم، أنهم أجمعوا على الصدق كائناً ما كان، رغم ما قد يترتب على هذا الأمر من مفاسد عظيمة، فقد جاء في مسند أحمد عن أم سلمة رضي الله عنها أنهم قالوا لبعضهم : نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم، كائن في ذلك ما هو كائن [٢] .

---

[١] القلم : ٨ - ٩.

[٢] مسند أحمد ( ٢٢٣٩٧ )، وإسناده صحيح.

# نص البيان الختامي
# لمؤتمر المعارضة السورية بالرياض

(( البيان الختامي لاجتماع قوى الثورة والمعارضة السورية

الرياض

٢٨ صفر ١٤٣٧ هـ، الموافق ١٠ ديسمبر ٢٠١٥ م

استجابة لدعوة من حكومة المملكة العربية السعودية، عقدت قوى الثورة والمعارضة السورية اجتماعاً موسعاً في مدينة الرياض، بتاريخ ٢٧ – ٢٨ صفر ١٤٣٧هـ، الموافق ٩ – ١٠ ديسمبر ٢٠١٥ م.

وقد شارك في الاجتماع رجالاً ونساءً يمثلون الفصائل المسلحة، والأطياف السياسية في المعارضة السورية في الداخل والخارج، وينتمون إلى كافة مكونات المجتمع السوري من العرب والأكراد والتركمان والأشوريين والسريان والشركس والأرمن وغيرهم، وذلك بهدف توحيد الصفوف، والوصول إلى رؤية مشتركة حول الحل السياسي التفاوضي للقضية السورية بناء على " بيان جنيف "، والقرارات الدولية ذات العلاقة، ومن دون إخلال بمبادئ وثوابت الثورة السورية.

ولقد ناقش المشاركون الموضوعات المدرجة في جدول الأعمال في أجواء يسودها الاحترام المتبادل، والشعور العميق بمسؤوليتهم التاريخية تجاه الشعب السوري الصامد. وتبادل المجتمعون الآراء حول القضايا المصيرية التي تواجه سورية، واطلعوا على الوثائق ذات الصلة، بما في ذلك البيان الصادر عن اجتماع المجموعة الدولية لدعم سوريا في مدينة فيينا بتاريخ ١٤ نوفمبر ٢٠١٥ م.

وأعرب المجتمعون عن تمسكهم بوحدة الأراضي السورية، وإيمانهم بمدنية الدولة السورية، وسيادتها على كافة الأراضي السورية على أساس مبدأ اللامركزية الإدارية. كما عبّر المشاركون عن التزامهم بآلية الديموقراطية من خلال نظام تعددي، يمثل كافة أطياف الشعب السوري، رجالاً ونساء، من دون تمييز أو إقصاء على أساس ديني، أو طائفي، أو عرقي، ويرتكز على مبادئ احترام حقوق الإنسان، والشفافية، والمساءلة، والمحاسبة، وسيادة القانون على الجميع.

وتعهد المجتمعون بالعمل على الحفاظ على مؤسسات الدولة السورية، مع ضرورة إعادة هيكلة وتشكيل مؤسساتها الأمنية والعسكرية، كما شددوا على رفضهم للإرهاب بكافة أشكاله، ومصادره، بما في ذلك إرهاب النظام وميليشياته الطائفية، وعلى أن مؤسسات الدولة السورية الشرعية، والتي

يختارها الشعب السوري عبر انتخابات حرة ونزيهة، هي من يحتكر حق حيازة السلاح. وأكد المجتمعون رفضهم لوجود كافة المقاتلين الأجانب، بما في ذلك من تم تجنيسهم بغرض قتل الشعب السوري، والمليشيات والجماعات المسلحة، والقوات المسلحة الأجنبية على الأراضي السورية، ومطالبتهم بطردها من أرض الوطن.

وشدد المجتمعون على أن حل الأزمة السورية هو سياسياً بالدرجة الأولى، مع ضرورة توفر ضمانات دولية، وأن عملية الانتقال السياسي في سوريا هي مسؤولية السوريين، وبدعم ومساندة المجتمع الدولي، وبما لا يتعارض مع السيادة الوطنية، وفي ظل حكومة شرعية منتخبة. واتفق المشاركون على أن هدف التسوية السياسية هو تأسيس نظاماً سياسياً جديداً، دون أن يكون لبشار الأسد، وزمرته، مكاناً فيه.

وأبدى المجتمعون استعدادهم للدخول في مفاوضات مع ممثلي النظام السوري، وذلك استناداً إلى " بيان جنيف " الصادر بتاريخ ٣٠ حزيران / يونيو ٢٠١٢، والقرارات الدولية ذات العلاقة كمرجعية للتفاوض، وبرعاية وضمان الأمم المتحدة، وبمساندة ودعم المجموعة الدولية لدعم سوريا، وخلال فترة زمنية محددة يتم الاتفاق عليها مع الأمم المتحدة. كما اتفق المجتمعون على تشكيل فريق للتفاوض مع ممثلي النظام، على أن يسقط حق كل عضو

في هذا الفريق بالمشاركة في هيئة الحكم الانتقالي. وطالب المشاركون الأمم المتحدة والمجتمع الدولي بإجبار النظام السوري على تنفيذ إجراءات تؤكد حسن النوايا قبل البدء في العملية التفاوضية، وهذا يشمل إيقاف أحكام الإعدام الصادرة بحق السوريين، وإطلاق سراح الأسرى والمعتقلين، وفك الحصار عن المناطق المحاصرة، والسماح بوصول قوافل المساعدات الإنسانية إلى المحتاجين، وعودة اللاجئين، والوقف الفوري لعمليات التهجير القسري، وإيقاف قصف التجمعات المدنية بالبراميل المتفجرة.

وقد شدد المجتمعون على تمسكهم بتطبيق بنود المرحلة الانتقالية في سوريا الواردة في " بيان جنيف ١ "، كما عبّر المشاركون في الاجتماع عن رغبتهم بتنفيذ وقف لإطلاق النار، وذلك بناء على الشروط التي يتم الاتفاق عليها حال تأسيس مؤسسات الحكم الانتقالي، وفي إطار الحصول على ضمانات دولية مدعومة بقوة الشرعية الدولية. وشدد المجتمعون على أن يغادر بشار الأسد، وزمرته، سدة الحكم مع بداية المرحلة الانتقالية. وأبدى المشاركون موافقتهم على حل الكيانات السياسية للمعارضة حال تكوين مؤسسات الحكم الجديد.

وقد أعرب المشاركون في الاجتماع عن قبولهم ودعمهم لدور الأمم المتحدة والمجتمع الدولي في الإشراف على وقف إطلاق النار، ونزع السلاح وحفظ

السلام، وتوزيع المساعدات الإنسانية، وتنسيق جهود إعادة الإعمار في سورية.

وفي نهاية الاجتماع توافق المشاركون على تشكيل هيئة عليا للمفاوضات لقوى الثورة والمعارضة السورية مقرها مدينة الرياض، لتتولى مهام اختيار الوفد التفاوضي، وتكون مرجعية المفاوضين مع ممثلي النظام السوري نيابة عن المجتمعين. )) انتهى.

# بين " جنيف " و " فيينا " و " مؤتمر الرياض "

قبل أن نبدأ في التعليق على مخرجات " مؤتمر الرياض " والمكتوبة في البيان الختامي له، نود أن نبين أن هذا المؤتمر ليس سوى ثمرة خبيثة من ثمرات مؤتمر " فيينا " الأخير، والذي انعقد في مدينة " فيينا " بتاريخ ١٤ / نوفمبر ٢٠١٥ م، وتم الاتفاق فيه على عدد من البنود منها[١] : أن تكون هوية سوريا " علمانية "، وإنهاء الحرب أي تعطيل الجهاد، ومحاربة الإرهاب ويقصدون به الجهاد والمجاهدين، وتشكيل حكومة غير إسلامية بإشراف الأمم المتحدة الكافرة والتي ترأسها دول أمريكا وبريطانيا وروسيا والصين وفرنسا، ولا يخفى على أحد محاربة هذه الدول للإسلام والمسلمين في كثير من دول العالم، وكذلك العلاقة الحميمة بين هذه الدول وبين بشار الأسد والنظام النصيري، فهم أربابه وسادته، وما هو إلا ذَنَباً من أذنابهم زرعوه في بلاد المسلمين لتنفيذ مخططاتهم.

والقول بأن " مؤتمر الرياض " امتداد لمؤتمر " فيينا " ليس قولاً ندعبه من تلقاء أنفسنا، وإنما هو مذكور في البيان الختامي لمؤتمر الرياض : ( وتبادل المجتمعون الآراء حول القضايا المصيرية التي تواجه سورية، واطلعوا على الوثائق ذات

---

[١] راجع نص البيان الختامي لمؤتمر " فيينا ".

الصلة، **بما في ذلك البيان الصادر عن اجتماع المجموعة الدولية لدعم سوريا في مدينة فيينا بتاريخ ١٤ نوفمبر ٢٠١٥ م** ).

أيضاً فإن " مؤتمر الرياض " ثمرة خبيثة من ثمرات " بيان جنيف ١ "، كما هو مذكور بالبيان الختامي، فقد جاء فيه : ( والوصول إلى رؤية مشتركة حول الحل السياسي التفاوضي للقضية السورية **بناء على " بيان جنيف** " )، وجاء أيضاً : ( وأبدى المجتمعون استعدادهم للدخول في مفاوضات مع ممثلي النظام السوري، **وذلك استناداً إلى " بيان جنيف** " الصادر بتاريخ ٣٠ حزيران / يونيو ٢٠١٢ )، وجاء أيضاً : ( وقد شدد المجتمعون على تمسكهم بتطبيق بنود المرحلة الانتقالية في سوريا الواردة في " بيان جنيف ١ " ).

ومن يقارن بين " بيان جنيف " والبيان الختامي لمؤتمر " فيينا " والبيان الختامي لـ " مؤتمر الرياض "، يجد أن المخرجات واحدة وإن اختلفت ألفاظ العبارات، وحين ينظر في شخوص القائمين على هذه البيانات والمؤتمرات والمؤسسين لها، ويربط بينها وبين اتفاق المخرجات، سيدرك حينها أن هذا المؤتمر لا يمكن أن ينفك عما سبقه، وأنه مجرد امتداد تاريخي وسياسي له، ليس إلا !.

# التعليق على البيان

يُذكر عن علمائنا أنهم كانوا يقولون بعض الآراء الفاسدة أن مجرد تصورها في الذهن كافٍ وحده لبيان فسادها وبطلانها !.

وهذه المقولة تنطبق تمام الانطباق على هذا البيان الكفري، فإن مجرد قراءته كافية لبيان ما فيه من كفر وباطل وضلال.

ولولا أننا ابتُلينا بفصائل تنتسب إلى الجهاد شاركت في هذا المؤتمر الشيطاني، وابتلينا كذلك بأناس يبررون لهم، ويقابلون من يناصحهم بالمجادلة في الواضحات البينات، لولا ذلك لما احتجنا إلى التعليق على مثل هذا البيان !.

وإني أكتب هذه الكلمات وأنا أعلم أن تعليقي على البيان هو من باب توضيح الواضحات ليس إلا !.

وكما يروى عن الإمام الشافعي رحمه الله : من المعضلات توضيح الواضحات.

وعن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

وليس يصح في الأذهان شيء          إذا احتاج النهار إلى دليل

وقبل أن أخوض في مناقشة البيان، أود أن أقدم بقاعدة هامة مبنية على قول لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهي قاعدة أظنها كافية لحسم الجدل

حول تفسير بعض المصطلحات الواردة بالبيان، والتي سأتعرض لها أثناء التعليق عليه.

والقاعدة أن حقائق الأسماء والألفاظ وحدودها الضابطة تعرف بإحدى ثلاث طرق، إما بالشرع أو باللغة أو بالعرف.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ( الأسماء المذكورة في الكتاب والسنة ثلاثة أصناف[١]، منها ما يعرف حده باللغة كالشمس والقمر والكوكب ونحو ذلك، ومنها ما لا يعرف إلا بالشرع كأسماء الواجبات الشرعية والمحرمات الشرعية، كالصلاة والحج والربا والميسر، ومنها ما يعرف بالعرف العادي - وهو عرف الخطاب باللفظ - كاسم النكاح والبيع والقبض وغير ذلك )[٢].

وذلك لأن الأسماء لها حقائق ومدلولات، وبحسب نوع الاسم يكون نوع حقيقته، فالأسماء الشرعية لها حقائق شرعية، والأسماء اللغوية لها حقائق لغوية، والأسماء العرفية لها حقائق عرفية، والتلاعب بالألفاظ واستخدامها على غير ما وضعت له يُضيع حقائقها ومدلولاتها.

---

[١] لاشك أن هذا لا ينحصر في ألفاظ القرآن والسنة فقط، وإنما هو يشمل جميع الأسماء والألفاظ.

[٢] الرد على المنطقيين، ص ٩٤.

ومن الأسماء التي لم توجد في الشرع أو اللغة، ولا يمكن معرفة حقائقها وحدودها إلا بالعرف، لفظ " الديمقراطية " و " الدولة المدنية " و " الوطنية " وغيرها من الألفاظ المحدثة التي تحتاج إلى النظر في عرف من أحدثها ومقصده بها، وكذلك النظر في عرف من عمل بها، لفهم حقيقتها ودلالتها وحَدِّها.

ومن لم يُعمل القاعدة السابقة عند النظر في هذه الألفاظ أو غيرها، فسيضل عن دلالتها الحقيقة ويتبع هواه في تأول معناها إلى دلالات غريبة لا توافق العرف ولا يوافقه عليها أحد.

والآن إلى التعليق على نص البيان :

١- جاء في البيان أن هدف الاجتماع والمشاركة فيه ( **توحيد الصفوف، والوصول إلى رؤية مشتركة حول الحل السياسي التفاوضي للقضية السورية بناء على " بيان جنيف "، والقرارات الدولية ذات العلاقة، ومن دون إخلال بمبادئ وثوابت الثورة السورية** ).

بناء المؤتمر على " بيان جنيف " والقرارات الدولية ذات العلاقة، يعني أنه بني على أساسٍ غير دين الله عز وجل، وقد قال الله سبحانه وتعالى : [ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ][1]، مبيناً أن هذا مقتضى توحيد

[1] الشورى : ١٠.

الربوبية، أي أن لم يفعل ذلك فقد كفر بربوبية الله سبحانه، [ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ].

وبيان جنيف لا يتفق مع أي من أصول هذا الدين ولا فروعه، بل هو مصادم لشرع الله سبحانه، فهو بيان باطل، ومعنى ذلك أن هذا الاجتماع قائم على أسس وأهداف باطلة شرعاً وعقلاً !، وقد اتفق أهل العلم والفقه والعقل أن ما بني على باطل فهو باطل، وعليه فالمؤتمر باطل بجميع مخرجاته.

وأما قول البيان : ( ومن دون إخلال بمبادئ وثوابت الثورة السورية )، فلم يحدد لنا ما هي مبادئ وثوابت الثورة، ولكن بالنظر إلى سياق الكلام وحال الموقعين على البيان، يتبين لنا أن هذه المبادئ لا تنطلق من الإسلام ولا علاقة لها بمقرراته.

٢- ومما جاء في البيان أن المشاركين ( **اطلعوا على الوثائق ذات الصلة، بما في ذلك البيان الصادر عن اجتماع المجموعة الدولية لدعم سوريا في مدينة فيينا بتاريخ ١٤ نوفمبر ٢٠١٥ م** ).

وهذا يعني أن مؤتمر الرياض تابع لمؤتمر فيينا ومنبثق عنه ومبني عليه، وهو ما سبق أن أشرنا إليه، وبالمقارنة بين البيان الختامي لكلا المؤتمرين تتضح هذه الحقيقة، وهذا باطل آخر يضاف إلى بناء المؤتمر على " بيان جنيف "، فيضاف إلى ما سبق من بطلان المؤتمر لبطلان أسسه التي قام عليها.

٣- وجاء في البيان : ( **وأعرب المجتمعون عن تمسكهم بوحدة الأراضي السورية، وإيمانهم بمدنية الدولة السورية، وسيادتها على كافة الأراضي السورية على أساس مبدأ اللامركزية الإدارية** ).

والتمسك بوحدة الأراضي السورية هو من الشعارات الخداعة التي يرفعها الطواغيت، ويجب أن تُفهم هذه العبارة وغيرها من عبارات البيان من خلال سياق الكلام وحال المتكلمين، دون البحث عن تأويلات ومبررات باردة.

ومعنى التمسك بوحدة الأراضي السورية أي عدم تجزئتها إلى دويلات صغيرة، وهذا قد يبدو شيئاً حسناً عند الناس، وهو لاشك معنى حسناً إذا قصد به توحيد الأراضي تحت شرع الله عز وجل، ولكنهم يقصدون بذلك عدم بقاء المناطق المحررة تحت سيطرة المجاهدين يحكمون فيها بشرع الله تعالى، لأن الوحدة هنا تعنى وحدة نظام الحكم والسياسة قبل الوحدة الجغرافية، ولما كان البيان لا يقر بشرع الله حكماً بين الناس، فسيرى الموقعون عليه أن المناطق المحررة مما يشق هذه الوحدة ويفسدها، وعليه فسيسعون لاسترداد هذه المناطق من أيدي المجاهدين وسيحاربونهم لأجل ذلك، وهو ما يعني القضاء على المحاكم الشرعية، كمحكمة جيش الفتح ودار القضاء وغير ذلك من المحاكم الشرعية، وإنهاء حكم الله عز وجل في هذه الأراضي المحررة، ولاشك

أن هذا ليس الهدف الذي قام لأجله الجهاد في سبيل الله، وأن قتالاً لأجل هذا القصد هو قتال عميّ لأجل الكفر والجاهلية، مآله جهنم وبئس المصير.

روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال : ( جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله ؟، فإن أحدنا يقاتل غضباً، ويقاتل حَمِيَّةً، فرفع إليه رأسه، قال : وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائماً، فقال : [ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ] )[1].

ولا يخالطني الشك لحظة واحدة أن أهل الشام والمجاهدين فيها باختلاف فصائلهم لم يخرجوا ويبذلوا ما بذلوه من تضحيات ودماء لأجل مثل هذه المقاصد الوضيعة، وإنما جميعهم باختلاف أفكارهم ومشاربهم ورغم أخطاء البعض منهم يسعون لإقامة حكم الله عز وجل، اللهم إلا القليل الشاذ، ومن شذ شذ في النار !.

وأما إيمانهم بالدولة المدنية[2]، فإن الدولة المدنية - عند قصد مؤسسيها وعرف العاملين بها وعرف المؤسسين لهذا المؤتمر أيضاً - هي الدولة المضادة للدولة الدينية، أياً كان شكل هذه الدولة الدينية ودينها القائمة عليه، وهم يُدخلون

[1] صحيح البخاري ( ١٢٣ )، وصحيح مسلم ( ١٤٩ / ١٩٠٤ ).

[2] لاحظ استخدامهم لمصطلح " إيمان " !.

الدولة الإسلامية في مفهوم الدولة الدينية المضادة للدولة المدنية، لأن الدولة الدينية " الثيوقراطية " عندهم هي الدولة التي تقوم على الدين، والدولة المدنية هي التي تقوم على غير الدين[١]، وبالتالي فهم حين يذكرون الدولة المدنية يقصدون بذلك ألا تكون دينية، أو ما يسمى بدولة الكنيسة، وأيضاً ألا تكون إسلامية، والناظر في تاريخ نشأة الدولة المدنية، وكذلك في الخطاب العلماني أو الليبرالي في نقاشهم للدولة الدينية والإسلامية والمدنية يتضح له هذا المعنى، وأما دعوى البعض بأن المقصود بالدولة المدنية أنها دولة ليست عسكرية، فهذا كلام بعيد عن العلمية والموضوعية، لأن معنى المدنية المضاد للعسكرية ليس معنى أصيلاً في هذا الباب، وإن كان متفرعاً عنه، ولكنه ليس المقصد الأساس من هذا المصطلح، وهو معنى بعيد عن الواقعية أيضاً، لأن غالب الدول العربية هي دول عسكرية، ومع ذلك فهي في عرف الغرب والمنظرين السياسيين دول مدنية، وذلك لأنها ليست دينية ثيوقراطية.

وأما سيادة الدولة على أراضيها، فأصل كلمة سيادة مشتقة من لفظ لاتيني بمعنى الأعلى، والسيادة عند السياسيين والقانويين هي سلطة عليا مطلقة تعلو

[١] راجع رسالة " الدولة الإسلامية بين الدينية والمدنية " للشيخ محمد شاكر الشريف.

كافة السلطات والإرادات ولا تحدها أو تساويها أو تعلوها سلطة غيرها[1]، والكلام هنا على إطلاقه، أي أن سلطة السيادة لا تعلوها أي سلطة سواء كانت سلطة بشرية أو إلهية، وتقوم نظرية السيادة على عشرة أسس كلها لا تجوز إلا لله سبحانه وتعالى، وأصحاب نظرية " السيادة " جاءوا إلى هذه الصفات الخاصة بالله وحده فأعطوها للبشر !، فهي نظرية كفرية في ذاتها، ونظرية السيادة هي أصل وأساس فكرة الديمقراطية، فعليها تقوم.

٤- وجاء في البيان : ( **كما عبّر المشاركون عن التزامهم بآلية الديموقراطية من خلال نظام تعددي، يمثل كافة أطياف الشعب السوري**).

والديمقراطية فكرة أصلها نظرية السيادة كما أسلفنا، وقد بينا أن نظرية السيادة نظرية كفرية تعطي خصائص الله للبشر، وهذا يعني كفر الديمقراطية تبعاً لكفر أصلها، لأنها فرع ناتج عن أصل، فأخذ حكمه تبعاً، وكذلك الحكم في آليات الديمقراطية، وهذا ما يقبله ويهتدي إليه العقل السليم، وأما

---

[1] راجع كتاب ( نظرية السيادة وأثرها ) للدكتور صلاح الصاوي، وكتاب ( نظرية السيادة في ميزان الإسلام ) للأستاذ أحمد الشريف.

[2] ذكرنا أننا نُعَرِّف هذه المصطلحات كما هي في عرف أهلها، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقلنا عنه، وذلك لأنها مصطلحات عرفية ليست شرعية ولا لغوية.

ما يزعمه البعض من التفريق بين فكرة وفلسفة الديمقراطية وبين آلياتها، فلا يقول به أساطين وأرباب الديمقراطية أنفسهم !.

فالديمقراطية من الناحية النظرية تقوم على بعض الأسس، ولتطبيق هذه الأسس عملياً اتفق الديمقراطيون على بعض الآليات التي تساعدهم على تنفيذ فلسفتهم، ومن يعتقد بهذه الفلسفة فلن يجد وسيلة لتطبيقها إلا بالتزام تلك الآليات، ومن يلتزم الآليات سيجد نفسه وجهاً لوجه أمام فلسفتها الكفرية، فبين فلسفة الديمقراطية وآلياتها علاقة متلازمة تجعل الفصل بينهما محالاً.

ومثال ذلك الانتخابات البرلمانية، فمن أسس الديمقراطية أنها تجعل حق التشريع المطلق للبشر، وآلية ذلك عندهم مجالس التشريع، ووسيلة تعيين أعضاء ذلك المجلس الانتخاب، واستخدام تلك الآلية سيقود إلى فلسفتها التي قامت عليها، واعتقاد الفلسفة النظرية سيجبر المعتَقِد على استخدام هذه الآلية، وقس على ذلك جميع أفكار الديمقراطية وآلياتها التطبيقية.

وأما النظام التعددي فالمقصود به التعدد الديني، ويفسره بهذا المعنى ما يلحقه من كلام أراده أصحابه[١]، حيث قالوا : ( نظام تعددي، يمثل كافة أطياف الشعب السوري، رجالاً ونساء، من دون تمييز أو إقصاء على أساس ديني،

[١] قدمنا أن الكلام يُفهم في سياقه، وهو ما يتفق عليه أهل النظر الموضوعي وأصحاب العقول المفكرة.

أو طائفي، أو عرقي )، وأطياف الشعب السوري تشمل الرجال والنساء، كما تشمل أهل السنة والنصيرية والدروز وغيرهم من أصحاب الديانات الكفرية الباطلة، ومعنى ذلك أن النظام عندهم ليس له سمة دينية واضحة، وهو ما يتفق مع ما ذكرناه في حديثنا عن الدولة المدنية، وأنها مضادة للدولة الدينية، فهو نظام تعددي يشمل كل هذه الأطياف ولا يُغلِّب أو يسمح بظهور سمة طيف فيه على الآخر، كما قال البيان : ( من دون تمييز أو إقصاء على أساس ديني، أو طائفي، أو عرقي )، فليس هناك تمييز في هذا النظام على أساس الدين أو العرق أو الطائفة، فالدين الإسلامي مساو عندهم للنصيري مساو للدرزي، وكذلك الفرد من طائفة السنة مساو للفرد من طائفة النصيرية، وكذلك في جهة العرق، وهو ما يعني انسلاخ الدولة عن الدين، أي أنهم يريدون دولة علمانية كافرة.

وتسويتهم بين المسلم وغيره في نظامهم السياسي مضاد لما قرره الله سبحانه وتعالى من عدم التسوية بين أهل الإسلام وغيرهم، سواء في أحكام الدنيا أو في أحكام الآخرة، وذلك في قوله تعالى : [ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ][١]، وتفصيل عدم التسوية في الأحكام الدنيوية مبسوط في كتب الفقه فليراجع في مظانه.

٥- وجاء في البيان : ( **وتعهد المجتمعون بالعمل على الحفاظ على مؤسسات الدولة السورية، مع ضرورة إعادة هيكلة وتشكيل مؤسساتها الأمنية والعسكرية** ).

ولا يخفى على أحد أن جميع المؤسسات الحالية للدولة النصيرية قائمة على الضد من دين الله سبحانه وتعالى، والسوريون هم أفضل من يدرك هذا الأمر، فهم من تلظى بحرها واكتوى من نارها، والحفاظ على هذه المؤسسات يعني إبقاؤها على ما هي عليه، ولا عبرة بمن يستخفون بالعقول ويقولون نقصد بذلك عدم تخريب منشآتها !، فإن المؤسسات ليست هي المباني التي تقبع فيها، وإنما المؤسسات هي منظومة العمل القائمة أياً كان المبنى الذي تقام فيه، وأما الحديث عن إعادة هيكلة وتشكيل المؤسسات الأمنية والعسكرية، فإنه لا يغني شيئاً، لأن المقصود بإعادة الهيكلة تغيير الأشخاص، أما العقيدة والفلسفة ونهج وطريقة العمل فلا علاقة له بالهيكلة، ولم يتحدث البيان عنه، ولو افترضنا نيتهم في تغيير ذلك، فكذلك ليس له كبير تأثير،

[١] الجاثية : ٢١.

لأن التغيير لن يكون وفق قواعد وأحكام الشريعة، وإنما سيكون وفق النظام العلماني المدني المذكور، وكما قلنا فالكلام يُفهم في سياقه ولا يُعزل عنه.

٦- وجاء في البيان : ( **كما شددوا على رفضهم للإرهاب بكافة أشكاله، ومصادره، بما في ذلك إرهاب النظام وميليشياته الطائفية** ).

لا يخفى على أحد مفهوم الغرب وأذنابه للإرهاب، فالإرهاب عندهم هو التمسك بعقيدة الإيمان والتوحيد، ثم الجهاد على هذه العقيدة، دفاعاً عنها وإعلاء لها في الأرض، أي أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ أسلم ثم قاتل ][1]، هو أصل مادة الإرهاب عندهم، وأما قولهم : ( بما في ذلك إرهاب النظام وميليشياته الطائفية )، فإنه لا يغير من تلك الحقيقة شيئاً، لأن قولهم : ( بما في ذلك ) تعني أن هناك غيرهم، وليس هناك غير المجاهدين، وهم من يسميهم الغرب بالأصوليين أو الإسلاميين الراديكاليين أو المتشددين والمتطرفين أو الإرهابيين، أو ما أشبه ذلك من تسميات، وكلها عندهم على معنى الذم والعداوة والمحاربة.

٧- وجاء في البيان : ( **وعلى أن مؤسسات الدولة السورية الشرعية، والتي يختارها الشعب السوري عبر انتخابات حرة ونزيهة، هي من يحتكر حق حيازة السلاح** ).

---

[1] صحيح البخاري ( ٢٨٠٨ ).

الانتخابات ستكون ديمقراطية كما ذكر البيان من التزامهم بآليات الديمقراطية، والتي منها الانتخابات، وقد تكلمنا عن الديمقراطية وحكمها، والذي يهمنا في هذه الفقرة من البيان هو الحديث عن نزع السلاح، فقد تكرر عدة مرات في بيانهم تصريحاً وتلميحاً.

أما التصريح فجاء في قول البيان : ( كما عبّر المشاركون في الاجتماع عن رغبتهم بتنفيذ **وقف لإطلاق النار** )، وفي موضع ثان : ( وقد أعرب المشاركون في الاجتماع عن قبولهم ودعمهم لدور الأمم المتحدة والمجتمع الدولي في الإشراف على **وقف إطلاق النار، ونزع السلاح** ).

وأما التلميح فجاء في تنصيص البيان على أن مؤسسات الدولة هي ( **من يحتكر حق حيازة السلاح** )، وهذا يعني تجريد غيرها من السلاح، وكذلك في حث البيان على طرد المهاجرين من سوريا إلى بلادهم، وذلك في نص البيان : ( **ومطالبتهم بطردها من أرض الوطن** )، وسيأتي التعليق عليه في موضعه.

وهذا يعني ترك وتعطيل الجهاد، وهو مصادم للنصوص القرآنية والنبوية، قال تعالى : [ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ][1].

[1] النساء : ١٠٢.

وترك الجهاد إلقاء باليد إلى التهلكة، كما قال تعالى : [ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ][1].

وقد روى الترمذي وغيره عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه في تفسير هذه الآية أنه قال : ( فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها **وتَرْكِنَا الغزو** )[2]، وفي رواية أخرى فسر التهلكة بقوله : ( أن نقيم في أموالنا ونُصلحها **ونَدَعَ الجهاد** )[3].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ترك الجهاد سبب للذل الذي لا ينفك عن الأمة إلا بالرجوع للجهاد مرة أخرى، وذلك فيما رواه أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [ إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم ][4].

---

[1] البقرة : ١٩٥.

[2] سنن الترمذي ( ٢٩٧٢ ).

[3] سنن أبي داود ( ٢٥١٢ ).

[4] سنن أبي داود ( ٣٤٦٢ ).

قال الإمام ابن النحاس رحمه الله : ( ودل قوله صلى الله عليه وسلم : [ حتى ترجعوا إلى دينكم ] على أن ترك الجهاد والإعراض عنه والسكون إلى الدنيا خروج عن الدين ومفارقة له، وكفى به ذنباً وإثماً مبيناً )[١].

٨- وجاء في البيان : ( **وأكد المجتمعون رفضهم لوجود كافة المقاتلين الأجانب، بما في ذلك من تم تجنيسهم بغرض قتل الشعب السوري، والمليشيات والجماعات المسلحة، والقوات المسلحة الأجنبية على الأراضي السورية، ومطالبتهم بطردها من أرض الوطن** ).

وهذا كما أن فيه التلميح بتعطيل وترك الجهاد - وقد علقنا عليه -، ففيه أيضاً التصريح بطرد المهاجرين من بلاد الشام، ومعنى ذلك تسليمهم إلى الحكومات الطاغوتية لتعتقلهم وتسومهم سوء العذاب، ثم تقتل منهم من شاءت بعد ذلك، ولاشك أن هذا مناقض لأبسط صور الوفاء ورد الفضل لأهله، فضلاً عن أبسط حقوق الإخوة الإيمانية، فضلاً عن الحد الأدنى من الولاء والبراء والحب والبغض في الله، بل فيه الكفر بالله ومحاربة الإسلام وأهله وموالاة الكافرين على المسلمين.

والحديث عن طرد المهاجرين جاء في نص البيان : ( وأكد المجتمعون رفضهم لوجود كافة المقاتلين الأجانب )، والمقصود الأول هم المهاجرون، وأما ذكر

---

[١] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، ص ١٠٧.

البيان لمن تم تجنيسهم بغرض قتل الشعب السوري فليس مما ننخدع له، لأن هذا التنصيص سُبِقَ بقوله : ( بما في ذلك )، وهذا يعني وجود غيرهم، بل إن غيرهم مقدم عليهم، لسبق الإشارة إليه !، وليس هناك غير المهاجرين، وهم المعنيون بقول البيان : ( والمليشيات والجماعات المسلحة )، ولو افترضنا - جدلاً - قيامهم بطرد الروس وروافض لبنان وإيران وغيرهم، فلن يكون ذلك إلا بعد طرد جميع المهاجرين من بلاد الشام.

وأما ما قد يتعذر به بعض أصحاب الأهواء والشبهات وأهل الضلال من الاستدلال بصلح الحديبية على جواز طرد المهاجرين وإخراجهم من بلاد الشام، فهو من أبطل الباطل ومن التزندق في دين الله عز وجل، وقد رأيت بعض من ضل عن الحق واتبع هواه يتكلم بمثل هذا الكلام قبل فترة، زاعماً أن تمكين الكفار من تسلم المهاجرين ليس من قضايا العقيدة التي يترتب عليها كفر وإيمان، وقد علمت فيما بعد أنه " شرعي " لأحد الفصائل الموجودة بالشام، ومثل هذا الضال وأمثاله يعملون بتنظيرهم الباطل على تمهيد الطريق " شرعياً " أمام بعض الفصائل لأجل السقوط في هذا المستنقع الخبيث والانحدار إلى تلك الهاوية السحيقة، وقد تعلق وقتها بكلام للإمام ابن القيم، وللعلماء أوجه في تأويل قصة الحديبية، وسأذكر ما قاله ابن القيم

حول هذه المسألة، ثم أعقب عليه بأقوال بعض العلماء، ليتبين للقاريء ضلال أمثال هؤلاء المتعلقين بحبائل الشيطان في استدلالهم بهذه الشبهة.

ذكر الإمام ابن القيم في كتابه القيم " زاد المعاد " تحت عنوان : ( فصل في بعض ما ورد في قصة الحديبية من الفوائد الفقهية ).

قال رحمه الله : ( ومنها : جواز صلح الكفار على رد من جاء منهم إلى المسلمين، وألا يُرد من ذهب من المسلمين إليهم، هذا في غير النساء )[1] .

ثم قال : ( ومنها : أن رد من جاء من الكفار إلى الإمام لا يتناول من خرج منهم مسلماً إلى غير بلد الإمام، وأنه إذا جاء إلى بلد الإمام، لا يجب عليه رده بدون الطلب، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد أبا بصير حين جاءه، ولا أكرهه على الرجوع، ولكن لما جاؤوا في طلبه، مكنهم من أخذه ولم يكرهه على الرجوع )[2] .

فتأمل تنصيص الإمام ابن القيم رحمه الله على أنه لا يرد من جاءه إذا لم يطلبه الكفار، ولا يكرهه على الرجوع، بل حتى لو جاءه الكفار وطلبوه، فإنه لا يأسره ولا يكرهه على الرجوع معهم، ولكن يُخلّي بينهم وبينه، فإن تمكنوا منه أخذوه، وإن تمكن هو من الهرب منهم أو قتلهم دفاعاً عن نفسه

[1] زاد المعاد، ٣ / ٢٧٤.

[2] المصدر السابق، ٣ / ٢٧٤.

فلا تثريب عليه، وهذا هو عين ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بصير رضي الله عنه، أضف إلى ذلك أنه لا يُمَكِّنهم من استرداد إلا من جاءه بعد العهد، وأما من جاء قبله فلا.

فتأمل كلام الإمام ابن القيم رحمه الله، وقارن بينه وبين ما جاء في البيان من أنهم يطردون جميع المهاجرين من البلاد - دون استثناء -، فالمسألة عندهم ليست متعلقة بزمان البيان، وأنهم يردون من جاء بعده دون من جاء قبله، قياساً على صلح الحديبية، وكذلك المسألة لا ترتبط عندهم بترك الكفار يتمكنون من أخذ المهاجر حال طلبهم له، إن قدروا على ذلك، وإنما هو الطرد لجميع المهاجرين، سواء جاءوا بعد هذا المؤتمر أو قبله، وسواء طلبهم الكفار أم لا !.

فالفارق بين الصورتين كما بين السماء والأرض، ومحاولة التسوية بينهما بدعوى صلح الحديبية هو من الضلال المبين والبهتان العظيم ومن التخرص في الدين والتقول على الله بغير علم، وصاحب هذا الكلام بحاجة لأن يستتاب من قوله، لأنه طاعن في النبي صلى الله عليه وسلم من حيث لا يدري، سواء أراد ذلك أم لم يُرده.

ومما يجب التنبيه عليه هنا أن بعض أهل العلم ذكروا أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف كان وحياً ولم يكن اجتهاداً منه، ودليل ذلك نزول

سورة الفتح تخبر بالمصالح المترتبة على صلح الحديبية، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : [ إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري ][1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ( فبيّن أنه رسول الله، يفعل ما أمره به مُرسِله، لا يفعل من تلقاء نفسه، وأخبر أنه يطيعه، لا يعصيه كما يفعل المتبع لرأيه وهواه، وأخبر أنه ناصره، فهو على ثقة من نصر الله، فلا يضره ما حصل، فإن في ضمن ذلك من المصلحة وعلو الدين ما ظهر بعد ذلك، وكان هذا فتحاً مبيناً في الحقيقة، وإن كان فيه ما لم يعلم حسن ما فيه كثير من الناس، بل رأى ذلك ذلاً وعجزاً وغضاضةً وضيماً، ولهذا تاب الذين عارضوا ذلك رضي الله عنهم، كما في الحديث رجوع عمر، وكما في الحديث أن سهل بن حنيف اعترف بخطئه حيث قال : " الله ورسوله أعلم " )[2].

ومن أدلة ذلك أيضاً ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم عن رد من جاء من المسلمين إلى قريش أنه [ سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً ][3]، وهو ما كان فعلاً، وهذا إخبار من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجزم بالغيب، وهو ما لا يُعلم إلا بالوحي، فدل على أن فعله صلى الله عليه وسلم ليس اجتهاداً

---

[1] صحيح البخاري ( ٢٧٣١ ).

[2] منهاج السنة، ٨ / ٤١١ – ٤١٢.

[3] صحيح مسلم ( ٩٣ / ١٧٨٤ ).

يجتهده من تلقاء نفسه، وإنما هو وحي منزل من الله عز وجل، وهؤلاء الموقعون والمبررون لهم لا ينطلقون من وحي منزل من الله عز وجل، يعلمون به أنه بعد بيان الخزي والتآمر هذا سيكون فتحاً مبيناً ونصراً عزيزاً للإسلام، وأن من يطردونهم من المهاجرين سيجعل الله لهم فرجاً ومخرجاً !!.

ولأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم كان وحياً، فقد ذكر بعض أهل العلم أن هذا الأمر خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وحده، لا يحل لأحد بعده ولا يجوز الاستدلال به أو القياس عليه، ذكر ذلك الإمام ابن العربي المالكي في كتابه " أحكام القرآن " عند تفسير سورة " الممتحنة "، فقال : ( فأما عقده على أن يرد من أسلم إليهم، فلا يجوز لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما جوزه الله له لما علم في ذلك من الحكمة، وقضى فيه من المصلحة، وأظهر فيه بعد ذلك من حسن العاقبة وحميد الأثر في الإسلام ما حمل الكفار على الرضا بإسقاطه، والشفاعة في حطه )[١].

وذكر الإمام ابن حزم في الإحكام : ( والوجه الثالث : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد إلى الكفار أحداً من المسلمين في تلك المدة، إلا وقد أعلمه الله عز وجل أنهم لا يفتنون في دينهم، ولا يضرون في دنياهم، وأنهم سينجون ولا بد، كما حدثنا عبد الله ابن يوسف ثنا أحمد بن فتح ثنا عبد

[١] أحكام القرآن، ٤ / ٢٣١.

الوهاب بن عيسى ثنا أحمد بن محمد ثنا أحمد بن علي ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن قريشاً صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم، فاشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا، قالوا : يا رسول الله أتكتب هذا ؟، قال : [ نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاء منهم إلينا فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً ][١] .

قال أبو محمد[٢] : قد قال الله عز وجل واصفاً لنبيه عليه السلام : [ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ][٣]، فأيقنا أن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأن من جاءه من عند كفار قريش مسلماً فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً، وحي من عند الله صحيح لا داخلة فيه، فصحت العصمة بلا شك من مكروه الدنيا والآخرة لمن أتاه منهم، حتى تتم نجاته من أيدي الكفار، لا يستريب في ذلك مسلم يحقق النظر، وهذا أمر لا يعلمه أحد من الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يحل لمسلم أن يشترط هذا الشرط، ولا أن

---

[١] انظر الحديث بتمامه في صحيح مسلم ( ٩٣ / ١٧٨٤ ).

[٢] أبو محمد بن حزم.

[٣] النجم : ٢ – ٣.

يفي به إن شرطه، إذ ليس عنده من علم الغيب ما أوحى الله تعالى به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وبالله تعالى التوفيق.

والوجه الرابع : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد من رد المسلمين إلى المشركين إلا أحراراً إلى أهلهم وآبائهم وقومهم، والمخالفون في هذا لا يردون المسلمين الأحرار إلا عبيداً إلى الكفار الذين يعذبونهم أشد العذاب، ويأتون الفاحشة المحرمة في النساء وربما قتلوهم، فما ندري كيف يستسهل مثل هذا مسلم )[١] !.

والناظر فيما أوردناه من أقوال للفقهاء في المسألة، يتبين له أن ثمة خلافاً بينهم في جواز عقد مثل هذا العهد مع الكفار لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وليس هذا محل تحرير النزاع وتحقيق المسألة، ولكنا أوردنا هذه الأقوال لنبين أن المؤيدين لمخرجات هذا المؤتمر ليس لهم حظ من أقوال الفقهاء، على أي القولين اختاروه !.

٩- جاء في البيان : ( **وشدد المجتمعون على أن حل الأزمة السورية هو سياسياً بالدرجة الأولى** ).

---

[١] الإحكام في أصول الأحكام، ٥ / ٢٥ : ٢٧.

بل الحل ديني بالدرجة الأولى قبل أن يكون سياسياً أو عسكرياً، وأي حل سياسي أو عسكري لابد وأن يكون منبثقاً عن الدين منطلقاً منه تابعاً له، وإلا فهو الضياع والعودة في ظلمات التيه مرة ثانية.

قال مربي الأجيال الأستاذ / سيد قطب رحمه الله : ( إن المعركة بين المؤمنين وخصومهم هي في صميمها معركة عقيدة وليست شيئاً آخر على الإطلاق، وإن خصومهم لا ينقمون منهم إلا الإيمان، ولا يسخطون منهم إلا العقيدة.

إنها ليست معركة سياسية ولا معركة اقتصادية، ولا معركة عنصرية .. ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها، وسهل حل إشكالها، ولكنها في صميمها معركة عقيدة، إما كفر وإما إيمان .. إما جاهلية وإما إسلام !

ولقد كان كبار المشركين يعرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم المال والحكم والمتاع في مقابل شيء واحد، أن يدع معركة العقيدة وأن يدهن في هذا الأمر ! ولو أجابهم – حاشاه – إلى شيء مما أرادوا ما بقيت بينهم وبينه معركة على الإطلاق !.

إنها قضية عقيدة ومعركة عقيدة .. وهذا ما يجب أن يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدواً لهم، فإنه لا يعاديهم لشيء إلا لهذه العقيدة [ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ] [١] ويخلصوا له وحده الطاعة والخضوع !.

[١] البروج : ٨.

وقد يحاول أعداء المؤمنين أن يرفعوا للمعركة راية غير راية العقيدة، راية اقتصادية أو سياسية أو عنصرية، كي يُمَوِّهوا على المؤمنين حقيقة المعركة، ويطفئوا في أرواحهم شعلة العقيدة، فمن واجب المؤمنين ألا يُخدَعوا، ومن واجبهم أن يُدركوا أن هذا تمويه لغرض مبيت، وأن الذي يُغيِّر راية المعركة إنما يريد أن يخدعهم عن سلاح النصر الحقيقي فيها )[١].

١٠- جاء في البيان : ( **مع ضرورة توفر ضمانات دولية، وأن عملية الانتقال السياسي في سوريا هي مسؤولية السوريين، وبدعم ومساندة المجتمع الدولي** ).

تكرر الحديث في البيان عن الضمانات الدولية ودعم وإشراف المجتمع الدولي، والكل يعلم كفر هؤلاء المذكورون ومحاربتهم للإسلام في عدد من البلدان، وإشرافهم ومشاركتهم يعني قيام العمل السياسي المقصود على الضد من دين الله سبحانه وتعالى، فالحق والباطل يعرفان بدعاتهما.

والتنصيص على مسؤولية السوريين يقصد منه إلغاء المهاجرين من الحسابات، وهو في هذا المعنى متسق مع ما سبق ذكره من طرد المهاجرين من الشام.

وهذا التنصيص على السوريين هو نزعة قومية ونعرة جاهلية أبطلها ديننا الحنيف، فهؤلاء خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر وعمر

---

[١] معالم في الطريق.

وعثمان وعلي والحسن رضي الله عنهم جميعاً، ليس فيهم أحد من أبناء البلدة التي كان يحكمها، بل جميعهم قرشيون مكيون مهاجرون، وقد حكموا المدينة وغيرها من أمصار الإسلام، وهم أجانب عنها، وقد مدحهم النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضع، ومنها ما رواه أحمد في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أنه تكون بعده [ خلافة على منهاج النبوة ] [١].

١١- جاء في البيان : ( **وبما لا يتعارض مع السيادة الوطنية، وفي ظل حكومة شرعية منتخبة** ).

تكلمنا عن السيادة وعن الانتخابات، وأما الوطنية فمعناها إقامة الولاء والبراء على غير أساس الدين والعقيدة، وإنما يكون على أساس رقعة الأرض وحدودها الجغرافية دون اعتبار للدين، وفيها مشابهة للعصبية القبلية من وجه، وهي عين الجاهلية، وفيها أيضاً هدم لعقيدة الولاء والبراء، وقد جاء الإسلام لهدمها وغيرها من النعرات والنزعات الجاهلية.

١٢- ومما جاء في البيان : ( **وطالب المشاركون الأمم المتحدة والمجتمع الدولي بإجبار النظام السوري على تنفيذ إجراءات تؤكد حسن النوايا قبل البدء في العملية التفاوضية، وهذا يشمل إيقاف أحكام الإعدام الصادرة بحق السوريين، وإطلاق سراح الأسرى والمعتقلين، وفك الحصار عن**

[١] مسند أحمد ( ١٨٤٠٦ )، وإسناده حسن.

**المناطق المحاصرة، والسماح بوصول قوافل المساعدات الإنسانية إلى المحتاجين، وعودة اللاجئين، والوقف الفوري لعمليات التهجير القسري، وإيقاف قصف التجمعات المدنية بالبراميل المتفجرة ).**

هذا الكلام يفهم منه أن الأمر لازال قيد المطالبة، فهي ليست قرارات اتُخِذَت للتطبيق الفوري، وإنما مجرد مطالبة واستجداء واستعطاف من هؤلاء المجتمعين الأذلاء، يتوجهون بها إلى الأمم المتحدة لتتدخل وتجبر النظام النصيري على تنفيذ هذه المطالب !، وقد تتفضل عليهم الأمم المتحدة بالقبول، أو تتركهم في استجدائهم وذلهم يصرخون في الهواء !، وكذلك النظام النصيري فقد ينصاع لتلك المطالب أو يرفضها !.

وعلى أية حال فهذا نظام غادر خائن خبيث، قد يعدهم ببعض الأمور، ويبدأ في تنفيذها فعلاً، ثم ينقلب بعد فترة ويرجع إلى سابق عهده، وقد جربناه في هدنة " الفوعة "، وبعد أن تعهد لـ " جيش الفتح " بوقف قصف الطيران على عدد من المناطق، وأوقف القصف فعلاً، إذا به بين فترة وأخرى يعود ليقصف بعض هذه المناطق على حين غفلة من المجاهدين، كما فعل في بلدة " تفتناز " ومدينة " إدلب ".

والطواغيت لا تُصْدَق وعودهم ولا يُؤْمَن جانبهم طالما بقوا في سدة الحكم، وحتى لو رحلوا بأشخاصهم، فلا يؤمن جانب أتباعهم.

ففي عهد قريب جداً قامت ثورة في مصر، واستطاع الناس خلع طاغوت مصر الهالك حسني مبارك، بل ووضعوه في السجن وقدموه للمحاكمة، وأوقفت أحكام الإعدام الصادرة عن نظام مبارك بحق المعتقلين، حتى أن الشيخ محمد الظواهري[١] - فك الله أسره - أعيدت محاكمته فحصل على البراءة بعد أن كان محكوماً عليه بالإعدام !، وأُفْرِجَ عن الأسرى والمعتقلين، وخرج المعتقلون كلهم بما فيهم جميع مشايخ الجهاد !، وفتحت أمامهم وأمام غيرهم جميع منابر الدعوة والمساجد والفضائيات وغيرها، وفتحت المعابر أمام غزة، وأرسلت لهم المساعدات الإنسانية، وفرح الناس بهذه الحرية العظيمة، وهجم الإسلاميون على السياسية، وترشحوا للانتخابات وتقلدوا المناصب السيادية، حتى وصل الإخوان المسلمون إلى سدة الحكم وتمكنوا من رئاسة البلد.

ثم ماذا ؟!.

ثم انقلب النظام المجرم، فقتل من الناس أضعاف ما قتله حسني مبارك في ثورة ٢٠١١ م، حتى أنه قتل في يوم واحد ثلاثة آلاف !، وذلك يوم مذبحة رابعة والنهضة، واعتقل منهم عشرات الآلاف حتى امتلأت السجون وما عاد فيها متسع، حتى أن السيسي أمر مؤخراً بإنشاء سجون جديدة !، وشُرِدَ من

---

[١] هو الأخ الشقيق للشيخ / أيمن الظواهري حفظه الله.

الناس من شُرِدَ، وهُجِرَ من هُجِرَ في سيناء، وهرب الكثيرون خارج البلاد، وغاب صوت الحق في مصر بعد أن كان هو الصوت العالي، وبعد أن كانت المسيرات المليونية تخرج في الشوارع مطالبة بتحكيم شرع الله تعالى، بل وارتفع صوت الكفار والملاحدة وعلا الصليب وعُظِمَت الكنائس !، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فما بال أقوام لا يتعظون ولا يعتبرون بمن سبقهم ! .. [ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ].

١٣- جاء في البيان : ( **وأبدى المشاركون موافقتهم على حل الكيانات السياسية للمعارضة حال تكوين مؤسسات الحكم الجديد** ).

لاشك أن حل الكيانات المسلحة أي الجماعات الجهادية، مقدم عندهم على حل الكيانات السياسية، فإن كانوا قد عزموا على حل التكتلات السياسية السلمية العلمانية، فالجماعات الجهادية من باب أولى، وهو ما يعني إنهاء الجهاد من وجه، والقضاء على الدعوة من وجه آخر، وإنهاء الوجود الإسلامي السني ومحاربته بكل أشكاله من وجه ثالث، ليدوم ويبقى كيانهم العلماني الكافر الذي اجتمعوا على إقامته، ولن يفلحوا إذا أبداً.

# حكم البيان والموقعين عليه

لاشك أن بياناً كهذا حكمه في دين الله الكفر، لا يشك في ذلك مسلم يعلم دينه ويفهم مدلولات ألفاظ البيان، هذا من جهة الحكم على الفعل، أو هو ما يسميه الفقهاء بحكم النوع.

أما الحكم على الأعيان، فلابد فيه من البحث والنظر في حال الموقعين، لمعرفة توفر شروط التكفير وانتفاء موانعها فيهم.

وليس معنى ذلك أننا نقول بعدم تكفير أعيان الموقعين، كما أننا لا نقول بتكفير جميع أعيانهم، بل الأمر عندنا فيه تفصيل، فهناك من المشاركين من ثبت عليه حكم الكفر قبل التوقيع على البيان، فهو كافر مرتد سواء وقع على البيان أم لا، وهناك من ثبت عليه حكم الكفر بسبب التوقيع، وهناك من انتفت عنه بعض الشروط أو قامت في حقه بعض الموانع، فلابد من إقامة الحجة عليه، وهذه مسألة يتصدر لها العلماء وطلبة العلم، لا آحاد الناس.

يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني : ( أُعَلِّقُ التكفير على شرح معاني البنود الواردة في البيان فقط، أقول : يمكن وجود الجهل في معاني الكلمات التي في

البيان، كل من يُشرح له معنى الكلام الوارد في الاتفاق ويقره بعد ذلك على معانيه عند أهله فهو كافر )[١].

ولذلك فإننا ننصح إخواننا بعدم المسارعة في تكفير بعض الطوائف المنتسبة إلى الجهاد ممن تورطوا في هذا الأمر، طالما أنهم - أي إخواننا الذين يُصَدِّرون أنفسهم لمسائل التكفير دون تأهل لها - ليسوا أهلاً لذلك، وليستبدلوا حرصهم على إخراج الناس من دين الله بالحرص على هدايتهم وإدخالهم في دين الله سبحانه وتعالى، وسبيل ذلك نصحهم والإنكار عليهم والسعي فيهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وليُعلم أننا لم نقصد بما كتبناه في رسالتنا هذه أن نُصدر أحكاماً على الموقعين أو طوائفهم أو أعيان أتباعهم، فهذه مسألة أخرى لها أبحاثها الخاصة فنتركها للعلماء يؤصلونها، فهم أهل لذلك.

لأن الحديث المطلق في التكفير دون ضوابطه الشرعية سيجر ويلات وتبعات كبيرة جداً لا تطيقها ساحة الشام، فمن تكفير أعيان الموقعين على البيان، إلى تكفير طوائفهم، ثم سحب هذا الحكم على أعيان المنتمين لهذه الطوائف دون النظر في حالهم وحال طوائفهم، وتدريجياً ينسحب الحكم بالتكفير على

[١] نقل عنه هذا الكلام الشيخ أبو محمود الفلسطيني في تغريدة له على حسابه في تويتر، بتاريخ ١٢ / ١٢ / ٢٠١٥ م، ونشرها عنه الشيخ أبو قتادة على حسابه في تويتر أيضاً.

الطوائف والجماعات المتعاونة والمتحالفة مع هذه الطوائف المحكوم بردتها، بحجة عدم التكفير تارة، وبحجة الموالاة تارة !، ثم ينسحب الحكم تلقائياً على أعيان تلك الطائفة التي ارتدت بتحالفها مع الطوائف المحكوم بردتها، وهلم جرا، وهكذا تستمر هذه الطريقة الخارجية المتسلسلة في التكفير دون حد أو نهاية لها !.

إن ما قصدناه من كتابة هذه الورقات هو بيان حقيقة وحكم هذا المؤتمر وما تم الاتفاق والتوقيع عليه فيه، أردنا بذلك النصح وإقامة الحجة قدر المستطاع، نصح الأمة عامة، والمجاهدين منهم على أرض الشام خاصة، قادةً وجنداً، وتحذيرهم ممن تورط بالوقوع في هذا المستنقع الخبيث.

فننصح إخواننا بالتبرؤ العلني من هذا المؤتمر، وممن شارك فيه، ومن كان من المجاهدين تابعاً لفصيل تورط بالتوقيع على هذه المؤامرة، فعليه بالتبرؤ من هذا الأمر، ونصح قادة وأمراء جماعته بالتوبة وإعلان التبرؤ مما اقترفته أيديهم، فإن أبوا فعليه مفارقتهم وعدم طاعتهم أو اتباعهم في الانحدار والسقوط في تلك الهاوية السحيقة، بل عليه الانتقال إلى غيره من الفصائل المجاهدة الصادقة التي لم يفسد دينها بعد بالمشاركة في مثل تلك المؤامرات الشيطانية وإقرارها.

وأما الفصائل التي تورطت بالمشاركة في هذا المؤتمر الشيطاني، ووقعت على بيانه الختامي، فننصحها بالتوبة إلى الله عز وجل، والتبرؤ مما فعلته والتراجع

عنه، وإعلان ذلك على الملأ، وإثبات صدق نواياها بالمواقف العملية على أرض الواقع، فلازال لديها فسحة من الأمر ومتسع.

وكما أن المشاركة في هذا المؤتمر والتوقيع على بيانه والرضى به خيانة وكفر أكبر مخرج من الملة، فكذلك الذهاب إليه والجلوس فيه عند نقاش هذه البنود دون إنكار علني لها، واستمرار الجلوس مع بقاء القوم واستمرارهم على ما هم فيه من الكفر، قد يوقع الجالس في الكفر، أو يجعله قريباً منه.

قال تعالى : [ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آَيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ] [١].

ولاشك أن من ذهب ورضي ووقع ليس كمن ذهب ولم يرض وانسحب وأعلن انسحابه، فإن الأخير موقفه أفضل بكثير ويستحق التقدير، وإن كان مجرد ذهابه خطأ، نسأل الله أن يعصمه من مثله مستقبلاً.

وأختم هذا الباب بكلام قيم نفيس للشيخ الفاضل أبي قتادة الفلسطيني.

يقول الشيخ حفظه الله : ( فالديمقراطيون طبقات : هناك مسلم ديمقراطي - استخدمت لفظ مسلم ديمقراطي، كاستخدامهم مسلم صوفي، وإن كان

---

[١] النساء : ١٤٠.

الديمقراطي الكلي لا يكون مسلماً[١] - يقول : أن الديمقراطية عندي هي وسيلة في اختيار الحاكم، ولا أقول بأن للشعب أن يقبل من الأحكام بحسب رأي الأكثرية دون مراعاةٍ للحكم الشرعي المنزل، فهذا أبداً لا يكون حكمه من قال بالديمقراطية في معتقدها، ومن سوى بينهما فقد افترى على دين الله تعالى وسلك غير سبيل المؤمنين.

نعم هو مبتدعٌ مخطىء، كحال الصوفية والمتكلمين في بدعهم وأخطائهم، لكن لا يمكن أن يكون كافراً بهذا القول )[٢].

ويقول : ( ثم إن هؤلاء حتى لو قالوا مثل هذه الأقوال الحادثة كالديمقراطية والاشتراكية - كما وقع من الشيخ الدكتور / يوسف السباعي رحمه الله تعالى - فإن الواجب إعمال موانع التكفير في حقهم لخفاء الإسلام ودروسه، ولعمومات هذه الألفاظ واحتوائها على معاني باطلة متعددة وبعض المعاني الإسلامية الصحيحة، كما وقع من الشيخ الدكتور يوسف السباعي في كتابه الذي سماه " اشتراكية الاسلام "، فالقول بردتهم غلوٌ وإفراط وانحراف عن

---

[١] الكلام للشيخ.

[٢] جؤنة المطيبين.

سبيل أهل السُّنة والجماعة، وأهل العلم في حكمهم على الطوائف والفرق كانوا يفصلون تفصيلاً يزيل كل لبس )[١].

ويقول الشيخ بعد أن تحدث عن بعض مراتب الصوفية : ( وحكم كل طائفة من هؤلاء ليس حكماً واحداً، بل بحسب البدعة التي تلبَّسَ المرء بها، فإذا كان من المؤمنين بالعقيدة الصوفية فهو كافر، وإن كان بريئاً من هذا الاعتقاد وتلبس ببعض تشريعاتها وأعمالها فهو محكوم عليه بحسب هذه البدعة.

والذين يحكمون على الصوفي بمجرد الاسم مطلقاً هم جاهلون في دين الله تعالى، مخالفون لإجماع الأمة في الحكم على هذه الطائفة.

وكذلك الديمقراطية والديمقراطيون، فمعتقدُ الديمقراطية هو سيادة الشعب لنفسه في جميع سلطاته التشريعية والتنفيذية والقضائية، وهي سلطة عليا لا سلطة فوقها، حتى لو كانت خطاب الله تعالى في الكتاب والسُّنة، ومن قال بهذا القول فهو كافرٌ مشركٌ في دين الله تعالى، لا يشك في كفره مسلم، ومن توقف في تكفيره هو كافر مثله إلا أن يكون جاهلاً.

وأما تلبس المرء ببعض تشريعاتها وأعمالها، فحكمه بحسب هذه البدعة التي تلبس بها، والحكم على جميع هذه الأنواع حكماً واحداً هو سبيل الصِّبية الذين يعلقون الأحكام على الأسماء دون النظر إلى مراتبها، وهو ما نحذر منه

[١] المصدر السابق.

في هذه الورقات، بل هو سبب ضلال كل الفرق والطوائف التي فارقت سبيل المؤمنين فخرجت عن هدي الكتاب والسُّنة مع احتجاجها بألفاظهما، وعامة ما يقع به الشباب اليوم من الانحراف بشقيه - الإفراط أو التفريط - هو بسبب هذا الجهل، وهم يظنون أن المسائل الفقهية أشبه بالعملية الرياضية، والكلمة أشبه بالرقم لها دلالة واحدة لا مراتب فيها، فالديمقراطية دين، فكل ديمقراطي يدين بغير الإسلام، إذاً كل ديمقراطي هو كافر )[١].

ولا يعني ذلك أننا نرفض التكفير مطلقاً، فهذا حكم شرعي فقهي كغيره من الأحكام الفقهية التعبدية التي نتعبد الله عز وجل بها، فليس لنا حق رفضه، وإنما القصد أن نترك الحكم لأهله من العلماء المجتهدين، ليدلوا فيه بدلوهم، كغيره من الأحكام الفقهية الأخرى، سواء في ذلك مسائل الطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج والنكاح والطلاق والبيوع والجهاد وغيرها.

يقول الشيخ عطية الله الليبي رحمه الله : ( ومسائل التكفير تعرفون رأينا فيها بارك الله فيكم، انتبهوا منها جيداً، واحتاطوا فيها احتياطاً مبالغاً فيه، ففي ذلك السلامة في الدين وفي الآخرة، واتركوا ما أشكل عليكم منها ومن غيرها من المسائل لعلمائكم وطلبة العلم )[٢].

---

[١] المصدر السابق.

[٢] رسالة للشيخ بعنوان " تعليق على بيان "، بتاريخ شعبان ١٤٢٨ هـ.

# الخاتمة

لا يفوتني في نهاية هذا المقام أن أنبه إخواني المجاهدين وقادة وأمراء الجهاد بساحة الشام أنه قد وجب عليهم الاجتماع والتوحد لطرح مشروع سياسي إسلامي يفوق ما طرحه " مؤتمر الرياض "، أو يوازيه في أقل الأحوال، وذلك لقطع الطريق عليه.

فإن مجرد الحديث عن المبادئ والفلسفات لا يكفي الرجل العامي البسيط الذي قد لا يفقه كثيراً مما نناقشه في هذا البيان، وكذلك الكثيرون من المجاهدين قد لا يعرفون هذه الفلسفات الكفرية التي نناقشها نظرياً، ولا يرون الفروقات المفصلية بينها وبين الإسلام.

ومحاولة إقناع الناس بهذه المبادئ النظرية دون إيجاد البديل العملي، سيجعلنا وكأننا نتكلم في الفراغ، ولن ننتبه لأنفسنا إلا وقد تجاوزتنا أحداث الساحة، إذ المباديء النظرية لا يؤمن بها إلا النخبة، وهم قليل.

والغرب يعرف هذا الأمر جيداً ويحاول استغلاله قدر طاقته لاحتواء من يستطيع احتوائه من المجاهدين ومن عامة الشعب.

وعلينا أن نسعي لقطع الطريق على الغرب بطرح مشروع سياسي موازٍ لمشروعه الباطل، والسعي في إقامته والعمل على تنفيذه على الأرض.

وحين ننجح في هذا الأمر، فإننا نكون قد أفشلنا " مؤتمر الرياض " وجميع ما سبقه أو ما قد يتبعه من مؤتمرات، ولاشك أن هذا لن يكون إلا بتوحدنا واجتماعنا.

ولا أريد أن أستطرد في الحديث عن وجوب وحدة الصف واجتماع الكلمة والاعتصام بحبل الله، فهذا أمر يعرفه كل أحد، والجميع قد تكلم فيه منذ نزول الوحي إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !.

وقادة وأمراء الفصائل وطلبة العلم فيهم، وكذلك الجنود يعرفون هذا الأمر جيداً، بل ويرحبون به أيضاً !، وتكرار الكلام ليس مقصداً لذاته.

إننا الآن أمام لحظة تاريخية ومفترق طريق يحتاج منا إلى صدق وعمل، قبل أن تلعنا الأجيال القادمة، وقبل أن نكون رقماً في قائمة التجارب الفاشلة.

فليتق الله أمراء هذه الفصائل جميعاً، ولينبذوا ما بينهم من خلافات تجاوزها أعداؤهم، وليجتمعوا على كلمة سواء، وليسعوا بكل جهدهم إلى السعي لتحقيق هذا المشروع وإقامته فيما مكنهم الله من بلاد الشام المباركة.

وختاماً :

فأنصح إخواني ألا يصيبهم اليأس والإحباط بسبب ما يحدث بساحة الشام، بل والله هو من مبشرات النصر إن شاء الله، فكأني بساحة الشام تنفي خبثها، والملائكة باسطة أجنحتها عليها، والله متكفل بها !.

فليست هذه الفتنة الأولى بساحة الشام، ولا نظنها الأخيرة، فقد قامت قبلها فتنة الغلاة والخوارج، فاجتمع الغلاة في صف واحد، وتطهرت صفوف المجاهدين منهم، واليوم تقوم فتنة الديمقراطية ويظهر صوت العلمانية ليجتمع في صفه أهل النفاق وأصحاب القلوب المريضة والدخلاء على هذا الجهاد، فيجتمع الكفار والمنافقون معاً في صف واحد في هذه الدنيا، كما يجمعهم الله معاً في الآخرة [ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ][1].

وهكذا تستمر الفتن في غربلة هذه الساحة المباركة، لتتمايز الصفوف وتتطهر، ولا يبقى بين أهل الجهاد إلا من صدق مع الله، فيفتح الله على هؤلاء الصادقين ويمن عليهم بالنصر بفضله وكرمه سبحانه.

كما قال تعالى : [ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ][2]، وقال سبحانه : [ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ][3].

إن ما يحدث الآن من تآمر الغرب واجتماعهم على أهل الجهاد في الشام، والتحاق بعض من ينتسبون لهذا الجهاد بهم، هو مصداق سنن الله الكونية

[1] النساء : ١٤٠.
[2] آل عمران : ١٧٩.
[3] العنكبوت : ٣.

التي أخبرنا عنها في كتابه سبحانه، وهو من الخير الذي يعلمه الله ولا يدركه البعض لقصر نظره وجهله بالغيب، ولكن الله أراد حصوله لحكمة يعلمها هو ونجلها نحن.

قال تعالى : [ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ][1]، وقال تعالى : [ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ][2].

[ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ]

والحمد لله رب العالمين ..

**أنس خطاب**

بلاد الشام المباركة

---

[1] البقرة : ٢١٦.

[2] النساء : ١٩.

# الفهرس